النيــــل كنز الأجيــال

إعداد وترتيب

جهاد حجّاج

الناشر
دار الهدى للكتـاب
كفر الشيخ – بيلا شارع الجمهورية بجوار المحكمة
الطبعة الأولى مايو ٢٠٠٧م

اسم الكتاب : النيل كنز الحيـــاة .

المؤلـــف : جهــاد حــجـــاج .

الغــــلاف : حسين المجدولية

كمبيوتر : مدحــت الحلفـــاوى

رقم الإيداع : ٢٠٠٧/٨١٥٨

الترقيم الدولى : I.S.B.N : 977 - 6150 - 20 -9

الطبعة الأولى: مايو / ٢٠٠٧م

ربيع ثاني ١٤٢٨هـ

الناشر

دار الهدى للكتاب

كفر الشيخ – بيلا – شارع الجمهورية بجوار المحكمة

ت: ٠٤٧/٣٦٠٤٦٠١ ـ ٠٤٧/٣٦٠٩٦٠١

المقــدمــة

** قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾

أولاً: لنا أن نتخيَّل مصر بدون هذا النيل، فهذا هو النيل المُقدَّس الذي قدَّسه الفراعنة وقالوا: «إنه نهر سماوي في مصر القديمة التي تتنافس بناتها لتكون إحداهما عروسًا للنيل».. فكانت حياة المصري القديم مرهونة بزيادة ونقصان هذا النهر الأمين، حيث كانت زيادة النيل يعم بها الخير .. كما كان نقصان النيل سبب في الجدب والفقر في جميع أنحاء البلاد .. كما كان النيل محل إعجاب الشُعراء والرَّحالة والمُؤرِّخين والجغرافيين وكل من سمعوا عن هذا النهر المقدس، ولذلك اهتمَّت كافة الشعوب بكشف منابع النيل؛ فقد كانت هناك عدَّة محاولات من الشعوب اليونانية أو الرومانية أو الإيطالية أو الفرنسية أو العربية والإسلامية لكشف منابع هذا النيل الخالد، وقد وصل بعضهم إلى أن النيل ينبع من «جبل القمر»، وقد روى سيدنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنَّ النيل ينبع من الجنة لقوله: «إنَّ النيل يخرج من الجنة، ولو التمستم ماؤه حين يعج لوجدتم فيه ورقها»، وقد ذكر رسول الله ﷺ أنَّ النيل والفرات وسيحون وجيحون من أنهار الجنة .. والنيل هو ثاني أطول انهار العالم؛ إذ يصل طولة إلى ٦٨٢٥ كيلو متر، وهو أطول أنهار أفريقيا.

وقد تحدَّثنا في هذا الكتاب عن النيل لِما له من أهمية كبيرة قد عرفها القدماء، وقد وصلوا إلى أنَّ هناك إرتباط قوى بين زيادة النيل ونقصانه وبين حركة الكواكب، كما كان للنيل مقام كبير في عهد سيدنا يوسف؛ فقد أوحى الله إليه أن يحفر ثلاثة خلجان: الأول في أعلى الصعيد، والثانى في غرب

الصعيد، والثالث هو «خليج المنحى» وهو المعروف ببحر يوسف الآن .. وقد حفره سيدنا يوسف ﷺ في سبعين يومًا فقط، وعندما خرج الملك ورآه تعجَّب وقال إنه عمل عظيم كان يحتاج إلى ألف يوم.

وقد كان نهر النيل هو الرسول الأمين الذي حمل سيدنا موسى ﷺ وهو طفل إلى قصر عدوّه فرعون مصر ليكون هلاك فرعون ومُلكه على يد سيدنا موسى ﷺ، وليُخلِّص أهل مصر من استعباد فرعون لهم .. وقد اهتم واشتاق كل إنسان في كل مكان إلى هذا النهر، فقد قال عنه نابليون: «لو قُدِّر لي أن أحكم مصر لن أسمح بنقطة مياة من ماء النيل تضيع في البحر الأبيض المتوسط»، وكان النيل يجري قديمًا على أرض مصر بسبعة فروع وهي:

١ ــ فرع منف .

٢ ــ فرع سخا وهو المعروف بالترميتاك.

٣ ــ فرع سرودس وهو المعروف بفرع السنبت .

٤ ــ فرع الفرى وهو المعروف بالفرع البيلوزى.

٥ ــ فرع أبو صير .

٦ ــ فرع رشيد وهو المعروف بفرع البولنبت.

٧ ــ فرع دمياط وهو المعروف بالفرع البوكولى .

وقد جفَّت في هذه الفروع بسبب كثرة رواسب النيل التي أدَّت إلى ارتفاع أرض الدلتا فيما بعد.

ولكي يستمر العطاء يجب على بلاد حوض النيل بذل الجهود للمحافظة على مياه النيل وترشيد الاستهلاك واستخدام أساليب الري الحديثة والعمل على استكمال مشروع قناة جونجلي بالسوادن .. ويجب أن نهتم بالنيل أكثر من ذلك

كما اهتم به المهندس اليوناني وأهدى فكرة إقامة السد إلى حكومة الثورة عام ١٩٥٢ م وهو المهندس اليوناني «أوريان دانينوس»، كما كان النيل يجــري على هذه الأرض ليهب الحياة إلى كافة بقاعها ليعزف صوت الأمــواج أروع الأناشيد على مرّ العصور .. كما شهد العديد من الأحداث على مرّ الزمان .. وقد تحدّثنا في هذا الكتاب عن كل ما يتعلّق بهذا النهر الخالد العظيم والأمين، فسلام عليك يانيل مصر..

يا رمــز العطــاء ورمز الوفــاء.

كاتبه

جهاد حجــاج

عضو الاتحاد الكتاب الإفريقيين والآسيويين

النيل في القرآن والسُّنة

أولاً القرآن الكريم:

قال تعالى:﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [1].

وقوله تعالى: ﴿ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ﴾[2] .

وهذه الآيات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم هي التي تحدَّثت عن قصة سيدنا موسى وأمه عندما خافت عليه من جنود فرعون عندما أمرهم أن يجمعوا كل الأطفال ويقتلوهم لِما رآه في نومة خشيةً أن يكون أحد هذه الأطفال قد قدَّر الله أن تكون نهاية فرعون وزوال ملكه على يديه، ولكن الله يفعل ما يشاء لأنه هو الفعال لِما يريد .. فقد أمر الله أم سيدنا موسى أن تصنع صندوق من الخشب وأن تضع فيه طفلها وأن تُلقي به في اليم، وهو المقصود به «نهر النيل»، لأن النيل كان يدخل سيناء، وذلك لأنه كان يتفرَّع إلى سبعة فروع، وكان يصل منها فرع إلى قصر فرعون .. وقوله تعالى:﴿ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴾ [3] .

وهذا ما قاله سيدنا موسى عليه السلام عندما عاد من الميقات عندما وجد بني إسرائيل يعبدون العجل الذي صنعه لهم السامري، وقوله تعالى:﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [4] .

---

١ – القصص آية ٧ .

٢ – طـه آية ٣٩ .

٣ – طـه آية ٩٧ .

٤ – القصص آية ٤٠ .

وقوله تعالى: ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ ﴾[1]

وقد ورد النيل في بعض آيات القرآن الكريم باسم «البحر» أو «اليم» كما ورد ذكره في قوله تعالى:﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[2] .

أمَّا قوله تعالى: ﴿ **مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ**﴾..

وقد ذكر بعض المفسرين أنَّ «يوم الزنية» هو يوم عيد وفاء النيل.

ويذكر ابن عباس أنَّ المقصود بقوله تعالى: ﴿ **وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا**﴾..

أنه ماء سيحون وجيحون وماء النيل وماء نهر الفرات، وهذه الأنهار من أنهار الجنة، والمقصود بقوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾[3] .

أنها أرض مصر كما ذكرها الليث بن سعد، وأنَّ الله بارك فيها بوجود النيل على أرضها .. وقد ذكر الإمام السيوطي أنَّ المقصود بقوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ**﴾ أنها أرض مصر.

النيل في السنة النبوية:

يقول ابن عباس:

أنزل الله سبحانه وتعالى من الجنة إلى الأرض خمسة أنهار هي: سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل، ولقد أنزلها الله من عين واحدة من الجنة من أسفل

١- طه آية ٧٨ .

٢ - القصص آية ٤٠ .

٣ - الأعراف آية ٧ .

درجة من درجاتها على جناحي سيدنا جبريل ﷺ، واستودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل الله فيها منافع للناس لقوله: **﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾**.

وقد ذكر الإمام البخاري العديد من الأحاديث النبوية في صحيحة عن نهر النيل، منها ما رواه عن رسول الله ﷺ في ما جاء في باب «ليلة الإسـراء والمعـراج» يقول عن رسول الله:

«ورفعت سدرة المنتهى، أي كشف عنها نبقها كأنة ملاك هجر وورقها كأنة آذان الفيلة، في أصلها أربعة أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران، فسألت جبريل فقال: أمَّا الباطنان ففي الجنة، وأمَّا الظاهران فالنيل والفرات».

وقد ذكر سيدنا أنس ابن مالك قال رسول الله ﷺ: «رفعت إلى سدرة المنتهى فإذ بأربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان فأمَّا الظاهران فالنيل والفرات».

وقد روى سيدنا أبا هريرة هذا الحديث عن رسول الله ﷺ يذكر فيه قال رسول الله: «**سيحان وجيحون والنيل والفرات من أنهار الجنة**»

وذكر ابن الفقيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تفور المياه كلها وترجع إلى أماكنها إلاَّ نهر الأردن ونهر النيل بمصـر**».. وذكر ابن الفقية أنَّ نهرين مؤمنين هما النيل والفرات، ونهرين كافرين هما برهوت ودجلة.

وقد ذكر المقريزي عن ابن فقيبة في كتاب «غريب الأحاديث عـن رسـول الله صلى الله عليه وسلم» قال: «نهران مؤمنان ونهران كافران، فأمَّا المؤمنان النيـل والفرات، وأمَّا الكافران فدجلة ونهر بلخ»، وقال: «إنما جُعل النيل والفرات مؤمنين لأنهما يفيضان على الأرض ويسقيان الحرث والشجر بلا تعب»، وقال: «إن نهري دجلة وبلخ كافران لأنهما لا يفيضان على الأرض ولا يفيضان بشيء إلاَّ القليل».

وذكر ابن مماتي أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ نيل مصر خير الأنهـــار، وإن الله تعالى قال عنه أسكن عليه خير عبادي، فمن أرادهم بسوء كنت لهم من ورائهم**».

وقال رسول الله ﷺ: «**نهر النيل بمصر هو سيد الأنهار، وهو مـــن عســـل**» .. وذكر السيوطي ما أخرجه الديلمي في «سند الفردوس»، وقد ذكره القرطبـــي فـــي كتاب «التذكرة» ما رواه سيدنا حذيفة:

«يبدأ الخراب بأطراف البلاد حتى تخرب العراق ومصر، وخراب العراق مـــن البصرة وخراب مصر من جفاف النيل».

ويذكر ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمرو العاص قال: «نيـــل مصـــر ســـيد الأنهار، يسخر الله له كل الأنهار بين المشرق والمغرب، فإذا أراد الله أن يجـــري نيل مصر أمر الله كل نهر أن يمده، فتمده الأنهار بمائها، وفجَّـــر الله لـــه الأرض عيونًا، فإن انتهيت جرت إلى ما أراد الله وأوحى الله إلى كل ماء أن يرجـــع إلـــى عنصره».

وذكر البعض أنَّ الأنهار الأربعة التي تنبع من الجنة يشملها «بسم الله الـــرحمن الرحيم»، فنهر الماء يجري من «م»، ونهر اللبن يجري من «هاء» الجلاله، ونهر الخمر يجري من «م» الرحيم..

وذكر أنَّ أنهار الجنة التي تجري على الأرض أربعة في الدنيا هي: نهر النيـــل وهو نهر العسل في الجنة، والفرات نهر الخمر في الجنة، ونهر سيحون نهر الماء في الجنة، وجيحون نهر اللبن في الجنة.

وذكر كعب الأحبار أنَّ الله تبارك وتعالى يُوحي للنيل عند ابتدائه أنَّ الله تبـــارك وتعالى يأمرك أن تجري على كذا فاجرِ عليه، ثم يجري إليه، ثم يوحي الله إليه عند انتهائه أنَّ الله يأمرك أن ترجع فارجع راشدًا.

أسمـــاء النيـــل

لقد تعدَّدت أسماء النيل، وتعدُّد الأسماء يدل على عظمة المكانة الخالدة لهذا النهر صانع للحضارات على مرِّ الزمان، وقد سُمي النيل بعدة أسماء أهمها:

١ – النيــل.

كانت أكثر الأسماء شيوعا لهذا النهر هو النيل ! وقد أطلق اليونانيون هذا الاسم على هذا النهر وهي كلمة مشتقة من كلمة " نيلوس " وقد أطلق اليونانيون على النيل أنه نهر سماوي.

٢ – ابجبتوس.

يذكر ديودر الصقلي أنَّ نهر النيل كان يُسمَّى باسم «ابجبتوس» قبـل أن كـان يُسمَّى نيلوس وذكر انه سمي بهذا الاسم نسبة إلى أحد الملوك اليونـانيون وذلـك تخليدًا الاسم هذا الملك.

ويذكر ديودور الصقلي أنَّ هذا الملك قد جلس على عرش مصر بعـد ديمفـيس الثاني بزمن قليل، كما أنه قام بحفر العديد من الترع والقنوات التي كانت سببًا فـي تقدُّم مصر، ويُذكر أنَّ اليونانيِّين أطلقوا هذا الاسم على هذا النهر لمدة طويلة ولـم يُبدَّل في عهدهم ولا عهد غيرهم، إلا أنَّه قد دخل عليه بعض التحريفات، وهذا ذكرة الدكتور وهيب كامل .. كما ذكرأنَّ ديمفيس هو رمسيس الثالث.

٣ – الفيــض.

أُطلق هذا الاسم على هذا النهر وذلك نسبة إلى فيضه السنوي، لأنَّ المصـريون كانوا ينتظرون هذا الفيضان من العام إلى العام لِما له من أثر كبير فـي زراعـة الأرض وزينتها بالخضرة والجمال

٤ – اليم.

ورد النيل في القرآن الكريم بهذا الاسم، كما ورد في قصص سيدنا موسى عليه السلام عندما أوحى الله إلى أم سيدنا موسى عليه السلام أن تُلقي به في اليم إذا خافت عليه من فرعون وجنوده..

٥ - شهكور.

عُرف النيل عند اليهود بهذا الاسم ومعناه في اللغة العبريَّة «الأسود».

٦ - بي يوما.

يذكر جونستون أنَّ القدماء المصريون كانوا يطلقون على هذا النهر اسم بي يوما piyumA، ويذكر جونستون أنَّ كلمة «نيل» مأخوذة من كلمة نيل niL، وهي كلمة فارسية ومعناها «الأزرق».

٨ - نيلوس.

ويذكر ياقوت الحموي في كتابة «معجم البلدان» (ص ٨٦٢) أنَّ كلمة «نيلوس» كلمة رومية الأصل، كما ذكر البغدادي أنَّ كلمة النيل معناها «نال والنيل والنائل»، ونال هو ما أصابه، وذكر ذلك في كتابه «تاج العروس».

وقيل أنه سُمي بالنيل لأن أحد الرجال نال من ماء هذا النهر حفنة من الماء، وأخذ يلعب بها بجوار النيل، ثم أطلق على النهر «النيل» لِما ناله من ماء هذا النهر، وقد اهتمَّ بدراسة النيل مجموعة من العلماء نذكر منهم «ناليسوهيكاتيوس» عاش قبل القرن السادس الميلادي، و«هيردودت وابراتو ستين» ٢٧٥ ــ ١٩٤ قبل الميلاد ــ و«يلنوس الأكبر» وآخرون.

«حابي» إله النيل:

نهر النيل هو أول نهر ينال هذه القداسة، فقد ألَّهه المصريون القدماء ومجَّدوه في كثير من الأناشيد، كما جاء في أناشيد اليونانيون، كما أعطوه ومنحوه احترامًا لا حدَّ له، وقد قال عنه الشاعر اليوناني «هوميروس» أن هذا النهر صادر عن الله سبحانه

وتعالى .. كما كان اهتمام القدماء المصريين بالنيل سببًا في اهتمام وتعظيم كل من جاء بعدهم بهذا النهر المُقدَّس.

وكانت الحياة المصرية القديمة ذات ارتباط وثيق وقوي، وأطلقوا عليه أنه نهر سماوي، وأنه يُحيط بهذا العالم من ناحية الجنوب .. وقد بلغت هذه القداسة أنهم جعلوا له إلهًا هو الإله «حابي»، وكانوا يُقيمون له الأعياد والاحتفالات السنوية، ولم تقف هذا الاحتفال بالأناشيد وبعض الطقوس الدينية فقط، بل وصل إلى العديد والعديد.

كما أنَّ القدماء كانت لديهم عقيدة أنَّ هذا النيل هو الفاصل بين الدنيا والآخرة، ولذلك كانت قصورهم ومعابدهم في الجانب الشرقي من النيل، أمًّا المقابر والمعابد الجنائزية في البر الغربي للنيل.

وقد رمزوا للنيل بالإله «حابي»، وهو عبارة عن إنسان مُخنَّث يجمع بين صفات الرجل والمرأة في وقت واحد، وأنه يهب الحياة لكل من يعيش على هذه الأرض .. ولم تكن هذه القداسة وهذا الاهتمام مجرَّد عقائد توارثها المصري القديم، بل جاء تقديرًا منه لفضل هذا النهر عليه، خصوصًا أن ماء هذا النهر أفضل مياه العالم وأعزبها .. وقد أكد ذلك ابن النفيس وابن سينا وغيرهم ممَّن اهتموا بهذا النهر، وذكروا أنَّ ماء النيل يشفي من بعض الأمراض ويُقوي المعدة، والغريب إذا شرب من ماء النيل نسي الغربة .. كما ذكر بعض علماء الجغرافيا قديمًا أنَّ هذا النيل ينبع من تحت سدرة المنتهى، وقد قيل في ذلك:

دِيَارُ مِصْرَ هِيَ الدُّنْيَا وَسَاكِنِيهَا
هُمُ الأَنَامُ فَقَابِلْهَا بِتَفْضِيلِ
يَا مَن يُبَاهِي بِغْدَادَ وَدِجْلَةَ
مِصْرُ مُقَدَّمَةٌ وَالشَّرَفُ لِلنِّيلِ

النيل في نشيد إخناتون:

إخناتون هو المصري الوحيد الذي يستحق أن يكتب التاريخ أعماله الخالدة التي قام بها، وتذكر كُتب التاريخ الفرعوني أنه «أمنيوس الرابع»، وأنه هو الذي جعل من الشمس سيدًا لهذا العالم وأقام لها معبدًا في البر الشرقي للأحياء ومثله في البر الغربى للموتى، وذكر أنَّ هذا الإله هو الشمس عندما تعبر نهر النيل مرَّة كل يوم في الصباح ومرة كل يوم في المساء، وقد سجَّلت كتب التاريخ الفرعوني العديد من هذه الأناشيد نذكر منها.

«أنت ترقى في الأفق يأتون .. يامن هو مُطلع على أسرار الحياة .. أنت حينما تستدير في الأفق تملأ الأرض من جمالك .. وأنت تبدو منيرًا فوق الأرض فتغشاها بأنوارك كما تغشى كل شيء خلقته .. وإذا ما ركنت إلى الرَّاحة في الأفق الغربي أظلمت الأرض كأنها ميتة ونام الناس في غرفهم وأمكنت سرقة كل ما يضعونه تحت رءوسهم من غير أن يروا ذلك، ولكنك إذا ما تبدو في الأفُق بددت الظلام وعمَّ الأرضيين السرور ووثب الناس على أرجلهم ويغتسلون ويلبسون ثيابهم ويرفعون أكفهم إليك عند طوعك عابدين .. وتعم الأرض بأسرها وترضى الحيوانات بأقواتها .. وتنحو الأشجار والنباتات، وتقفز الحملات وتطير الطيور من أعشاشها وتسبح لك بأجناحها، ويتَّضح كل طريق بنور أشعتك، وتبحر السفن في النهر طلوعًا ونزولاً، وطفر الأسماك نحوك لنفوذ أنوارك العميقة في البحر، وتنحو الأولاد في بطون أمهاتهم وتهدهدهم فيها لكيلا يبكوا .. ثم تهب لهم صفة التنفس، وإذا ما وُضع الوليد فتحت فمه وقمت باحتياجاته، وإذا ما كان الفرخ في الفيض منحته روحًا وقوَّة لنقر البيضة .. وها هو يسير ويرتاد، وكل شيء خلقته عظيم .. وممَّا خلقت تذكر الناس والحيوانات والكبار والصغار وجميع ما يدوس تراب الأرض وجميع ما يطير في الهواء، وبلاد سوريا والنوبة وقطر ومصر، وتصنع

كل إنسان في مكانة وتنعم عليه بما يحتاجه، وقد قسمت الناس إلى شعوب مختلفة اللغات والأشكال والألوان .. وأنت خلقت النيل في أدنى العالم فأتيت به إلى حيث تود إطعام الناس .. يارب الجميع وقد وضعت النيل في السماء أيضًا لكي ينزل نحوهم فيلطم الجبال بأمواجه كالبحر ويسقي حقولهم بما فيه الكفاية في السماء، ونيل واحد للبلاد الجبلية ولجميع الحيوانات التي تذهب إلى سفوحها وقد مهدت نيل العالم الأدنى لمصر .. وأنت خلقت السماء البعيدة لتصعد إليها ولتبصر من عل على كل ما أبدعت وحدك، الجميع يرفع بصره إليك .. أنت أيها الشمس ومكانك في قلبي ولا أحد يدرك أمرك غيري، أنا ابنك إخناتون وقد أطلعته على خططك، أنت يا حياتنا ويا من نعيش به .. وقد أنشأت منذ خلقت الأرض بجميع الناس في سبيل ابنك الذي خرج من صلبك في سبيل من يجب في سبيل الملكة التي تعيش وتسعد سعادة أبدية».

بعض الأناشيد الأخرى:

حابي أبو الآلهة

الذي يضيء بلادي

إنك أنت الذي تهب لكلٍّ منا روحه

الخير عمَّ على كلِّ طريق

إنَّ قدرًا منك إلى كل القلوب يسعدها

ويغذِّي كلَّ الأطراف

وأنت الوحيد الذي خلقت نفسك

وفي اليوم الذي خرجت فيه من داخلك

وهبت لكل منا السعادة

أنت سيد الأسماك

والنبات والأعشاب والخضروات

لقد وهبت للعالم السعادة

إنه دائمًا الفتاح الذي يفتح لنا أسرار

العقيدة المصرية

نشيد آخــــر:

«أيها النيل الألهى .. إنك إله سماوي .. إنك تعبر السماء مـــن أقصـــاها إلـــى أدناها .. إنني أتوسل إليك أن تهب لي قوة مماثلة لقوة الإله سمكت التي حرســت أزويبس في أثناء الليلة المُرعبة التي عمرتها العواصف والفيضانات، وأن تفتح لي مكانًا ومكانة بين النفوس المُقدَّسة التي سكنت منابع المياه الإلهية، وأن تستريح في هليوبوليس، ولقد كفلت لى الإلهة سيشينا مأوى، وساعدها في ذلك الإله ختون حينما تهب الرياح».

نشيد آخـــر:

ومن خلال هذه الأنشودة المعاصرة – في عهد الرئيس جمال عبـــد الناصـــر – نشعر أننا نعيش داخل قوقعة تحت الأمواج، أمواج هذا النهر نهر النيل

نحن نغني للحرية في حقولنا الخضراء

هذه هي أرضنا

والأشجار أشجارنا

والسماء سماؤنا، وترفرف الراية الخضراء على وطننا

ويتغنَّى كل ما حولنا

لقد وهبت لنا الحرية يا جمال

إنك خالد مثل نهر النيل

إننا نغني في الصباح

بعد أن يحلو الظلام
وتتطلّع إلى ماضينا عبر التاريخ
ونرى أنفسنا أبطالاً عبر الأحداث المجيدة
لقد عاشها وطننا الحبيب مصر
لقد وهبت لنا الحرية والجمال
وأخرجتنا من الظلام إلى النور
وأنك خالد مثل نهر النيل
ففي ضوء النهار
تأتي إلينا المياه من خزانات أسوان
ويخضر محصول القمح
ونعمل بالآلات طول العام
كما قلت لنا يا جمال
أن السد العظيم
يرفع مثلك متسعا بالمجد
إنك عظيم يا جمال
كنهر النيل
هذه هي رسالتي من طول الزّمن
وانتشر أصوات الكهول
أصوات مصر القديمة
الأصوات المألوفة
لقد سمعت صداها في اليونان وروما
عبر المسيحية

عبر الإسلام
وغدًا عندما تشرق الشمس
ستوجه إلى عنايتها الفائقة
حينما تستيقظ ملايين النفوس
ستُصبح حضارتنا أعظم الحضارات
وستظل حضارتنا أوقع الحضارات
وإذ بحثنا عن منابعها
فسنجدها في النيل الخالد

ابتهالات فلاح بزيادة النيل

كان المصري القديم عاشق لهذا النهر لأنه يُمثل عنده بكل حقيقة الحياة .. هكذا عرف القدماء قيمة النيل لأنَّ حياة المصري القديم كانت رهينة بزيادة ونقصان هذا النهر العظيم، وذلك أخذ يراقبه بكل اهتمام لِما سيعود عليه من خير كبير من زيادة هذا النيل .. كما أن هذا النهر كان سببا في تقوية الصلة بين المصري وبين المعابد والاهتمام بالطقوس الدينية خصوصًا عبادة الإلـــــه «حابي» إله النيـــل وتقـــديم القرابين وتلاوة الأناشيد عليه ليرضى عنهم وليكون سبب في مزيـــد مـــن الـــنعم والسراء التي سيعود عليهم مقابل هذه الطقوس، فكان المصري القديم يقوم بتقســيم الأرض إلى أحواض حسب زيادة النيل التي يتوقَّعها من خلال معرفة بعلم الكواكب والنجوم، وكان الفلاح يسعد سعادة كبيرة عندما يرى حامل المقياس يحمل مقياســه ويخرج به إلى النيل، وكان المصري يقف ليكون أول من يســعد بهـــذه الأخبـــار السعيدة ليخبرها إلى غيرة، وكان الفلاح عندما يسمع خبر زيادة النيل كان يبتهـــل بهذه الابتهالات إلى النيل.

أحـــد نصوص ابتهالات الفلاح للنيل

«السَّلام عليك يا أيها النيل الذي يخرج من الأرض ليغذي مصر، والذي يخرج من الظلمات إلى النور لينشر وروده.

أنت تسقي الحقول وقد خلقك رع لتُطعم القطاع .. أنت تروي حتى الصـــحراء البعيدة من كل ماء مادام الكلأ هو الذي ينزل من السماء إذا ما كان النيل مكسالاً.

سددت الأنوف .. وهزُل الناس .. وزلّت القرابين .. وماتـــت الملايـــين .. وإذا ارتفع النيل كانت الأرض في سرور وكانت المعدة في حبور .. وضحكت الزهور وابتسمت الثغور، والنيل هو الذي أنبت الشجر، وتبحر السفن لتعذر صـــنعها مـــن الحجارة .. ومن الذي يجرؤ أن يروي المروج ويهب القوى للناس .. وإذا ما جاء فيضانك قدَّمنا الضحايا إليك .. وذبحنا أبقارنا وسمنًا الإوز وأخذنا الصيد بالحبـــال وعولاً في الصحراء لنرد إليك الخير الذي تنعم به علينا لنتوسل إلى الآلهة التســعة إذن ولنخشنَّ القدرة التي يُبديها سيد الدنيا .. أنت الذي يقوى الناس بفضل قطاعـــه الذي يقوى القطاع بفضل المراعي أيها النيل»..

كان هذا التعظيم لهذا النهر العظيم لِما ارتبطت به حياة المصري القديم بالنيـــل لأنَّ تغيُّرات النيل من فيضان وجفاف كان تغيَّر معها حياة المصري حتى أيامنا هذه لمَّا أصبح للماء من قيمة كبيرة، ولقد سُجل على عمود «سني» أحد المقاييس التي أدَّى جفاف النيل إلى مجاعة وصلت إلى سبع سنين ممَّا جعل الناس يجلسون مكتفين الأيدي لا حيلة لهم في التغلب على نقصان النيل، وأنَّ هذا الجفاف كان ســـببًا فـــي موت الزرع والحيوان وكذلك الإنسان، وقد قال أحد الفراعنة من الأســـرة الثلاثـــة والعشرين عند زيادة النيل قوله الشهير: «أصبح الوادي بحرًا بأسره ومُلئت المعابد بالماء فيلوح الناس»، وكان إذا حدث ذلك كان «..الكهنة يخرجون ومعهـــم وزيـــر الملك ليُعبروا عن ثمانية ملايين من المصريين في موكب ويصعدوا إلى قمَّة الهرم،

ثم يقوم أحد الكهنة بتقديم الابتهالات والأدعية عندما يخرج الملـك لـيعم الخبـر عليهم..

وقد سُجّلت أعداد الهدايا التي كانت تقدم في هذه المناسبة على جدران المعابـد فكانت هذه الهدايا تُقدَّر بـ (٨٠٠٠٠ عبد، ٢٠٠٠٠ رأس غنم، ٢٤٠٠٠ كيلو مربع من الأرض، ٨٣ سفينة، ٤٦ مرسى بناء «ميناء» ٥٦ قرية، ٥٠ كيلو جرام مـن الذهب، ١٠٠ كيلو من الذهب، ٢٤٠٠ من النحاس، ٢٩٠ من الطير، ٣٠٠ كـيس من النقود)، وكانت تُقدَّم القرابين توسلاً إلى الآلهة لترضى عنهم من أجـل زيـادة النيل، وكانت هذه الهدايا تأخذ من الفلاحين للآلهة بحجة من أجل أن يفيض علـيهم النيل بخيره الوفير، وكان ينالها الكهنة على سبيل جمع الثروات، وقد دلَّت على ذلك نصوص الثوار.

الفيضان والكواكب:

كان الفيضان هو السبب في إقامة الأعياد والسبب في إقامة الموائد.

كما كان الفيضان سببًا في إقامة الصلوات والطقوس الدينية .. وكان سبب فـي اتباع بعض العادات مثل عروس النيل وعيد الوفاء وعيد ليلة الغطاس وعيد الشهيد، فكل هذه الأعياد النيليَّة كان السبب فيها هو فيضان النيل .. والدليل على ذلـك أنَّ هذه الأعياد والعادات والطقوس لم تكن معروفة في البلاد المجاورة.

وكان فيضان النيل ونقصان مياهه لم يكن إلاَّ بمواعيد قـد عرفهـا المصـري القديم .. وكانت هذه المواعيد لا تتغيَّر ولا تتبدَّل.

ويذكر الباحثين والمهتمين بأحوال النيل أنَّ الأمطـار كانـت تسـقط بمواعيـد معلومة، وأنها كانت سبب من أسباب زيادة مياه النيل خصوصًا الأمطار التي تسقط على بلاد أثيوبيا في فصل الصيف.

وقد ورد أن سيدنا عمرو بن العاص قال:

«إنَّ نيل مصر سيد الأنهار .. سخر الله له كل الأنهار الموجودة بين المشرق والمغرب، فإذا أراد الله أن يُجري نيل مصر أمر كل الأنهار أن تمدَّه بالماء فتمده .. وفجَّر الله له عيون الأرض .. وإذا أراد الله أن يمد الأنهار بالماء أجرى النيل أن يمدها» .. وهذا معناه أن النيل إذا زاد نقصت الأنهار الأخرى وعلى العكس.

وقد أثبتت الدراسات أنَّ زيادة النيل تكون سبب فىالأمطار الصيفية التي تسقط على بلاد الحبشة، ويذكر ابن القزويني أنَّ سبب فيضان النيل هو هبوب الرياح الشمالية التي تكون سبب في حركة مياه البحر المالح فتكون هذه الرياح سبب في توجيه المياه .. خصوصًا في منطقة الغابات بأعلى النيل والتي تكثر في منطقة السودان، وتُسمَّى هذه الرياح بـ«رياح الملتن».

كما يذكر الآخرون أنَّ سبب زيادة مياه النيل هو ذوبان الثلج في فصل الصيف.

وقد ذكر الغزولي أن سبب زيادة النيل وفيضانه مازال غير معروف إلى الآن.

وقد ذكر البعض أنَّ الشرب من مياه النيل في وقت فيضانه مضر جدًا بالصحة .. ويزداد فيضان النيل في الشهور الآتية «أبيب - مسرى - توت بابة» وهي التي تقابل «يوليو - أغسطس - سبتمبر»..

وكانت هذه الزيادة تقل في العشر أيام الأول من شهر بابة، وكذلك شهر أكتوبر .. وذكر القلقشندي أنَّ هذه الزيادة كانت تزداد خصوصًا في شهر مسرى.

الكواكب والفيضان:

كان المصري القديم يعرف الفيضان ومواعيده، وكان قد وصل إلى أنَّ هناك علاقة قوية بين زيادة ونقصان مياه النيل وبين حركة الكواكب والنجوم، وقد ذكر هذا وأكَّده ابن رضوان أنَّ كوكب المريخ عندما يسير عاليًا يكون الفيضان متوسطًا،

وإذا كان سير هذا الكوكب بطيء يكون الفيضان قليل، وإذا قارن المريخ عطـــارد زاد ماء النيل .. وذكر أنَّ كواكب الفيضان ثلاثة هي «القمر – عطارد – المريخ»

الأبراج والفيضان:

يذكر القدماء أنَّ أبراج الأمطار خمسة أبراج هــي «الســرطان – العقــرب – الحوت – الأسد – الدالي .. وقيل خسون» .. وكان اتصال القمر بكوكب الزهرة دليلاً على زيادة ماء النيل.

وقد ذكر ذلك وأكده المقريزي فقال: إنَّ اقتراب الشمس من برج السرطان دليــل على الفيضان .. و الاقتراب من عطارد والقمر يدل على زيادة مياه النيل.

وذكر المنوفي في كتابة «الفيض المدر» أنه عند نزول الشمس برج الحمل ينظر إلى القمر إذا كان نازلاً في برج الحمل أو الأسد أو القوس دلَّ ذلك على قلة ميــاة النيل ونقصانه .. وإذا كان القمر دلى برج الثور أو السنبلة أو الجدول دلَّ ذلك على توسُط ماء النيل .. وإذا نزل القمر في برج السرطان أو العقرب أو الحوت كــان الفيضان عاليًا ودلَّ ذلك على زيادة ماء النيل بقدر كبير .. وإذا كان القمر في برج الجوزاء أو الميزان أو الدالي دلَّ ذلك على كثرة منافع النيل.

نزول النقطة والفيضان:

كان المصري القديم يعتقد أنَّ نزول النقطة مرتبط:

١ ــ بفيضان النيل .. فإذا نزلت يوم الأحد كانت زيادة النيل عشرين ذراع.

٢ ــ وإذا نزلت النقطة يوم الإثنين كان الفيضان اثنان وعشرين ذراع.

٣ ــ واذا نزلت النقطة يوم الثلاثاء كان الفيضان تسعة عشرة ذراع .

٤ ــ واذا نزلت النقطة يوم الأربعاء كان الفيضان ثمانية عشرة ذراع.

٥ ــ وإذا نزلت النقطة يوم الخميس كان الفيضان ثمانية عشرة ذراع.

٦ ــ وإذا نزلت النقطة يوم الجمعة كان الفيضان اثنين وعشرين ذراع.

٧ ــ وإذا كان الفيضان يوم السبت كان الفيضان ثلاثة وعشرين ذراع.

الفيضان عند الأقباط:

يذكر المقريزي أنَّ أقباط مصر القدماء كان يُحدّدون فيضان النيل بــأنهم كــانوا يضعون على الطين ماء النيل ليلة الثاني عشر من شهر بئونة، وكانوا يزنون هــذا العجين قبل وبعد، وكانوا يُقدّرون مقدار زيادة فيضان النيل بمقــدار زيــادة هــذا «الطين»، وقد ذكر المقريزي أنه قد جرَّب ذلك بنفسه وأنه أثبت صحة ذلك.

كما يذكر أنهم كانوا يُحدّدون مقدار زيادة فيضان النيل بطريقة أخرى .. وهــي متابعة فرس النهر، ويعرفون أنه يخرج من الماء وأنَّ المكان الذي يصل إليه يكون ذلك مقدار زيادة النيل.

النيل في مصر القديمة ــ حجر بالرموا:

يُعد **«حجر بالرموا»** أقدم الوثائق التي تدل على اهتمــام المصــريون القــدماء بأحوال النيل والفيضان وخصوصًا ما بين الأسرة الأولى والأسرة الخامسة، أي ما بين ٣٠٥٠ قبل الميلاد إلى ٢٤٨٠ قبل الميلاد، وقد سجل على هذا الحجر مقــايس النيل وهو ما سجّله الملك «جر» أحد ملوك الأســرة الأولــى عــام ٣٠٥٠ قبــل الميلاد .. ومازال هذا الحجر موجود يُسجل عليه مقاييس ومناسيب النيــل، إلاَّ أنَّ هذا الحجر قد تهشّمت بعض جوانبه عند نقله إلى مدينة بالرموا، وهذا الحجر عبارة عن ٤٢ × ٣٠ سم، وقد تم اكتشاف هذا الحجر عام ١٩٠٢ م منقوش عليه أحــوال النيل وأسماء الملوك الذين اهتموا بالنيل .. وقد سُــجلت هــذه الكتابــات باللغــة الهيروغيليفية، وقد وُضع هذا الحجر في أحد معابد منف مصر القديمة وقد سُــجل عليه مقاييس النيل بالذراع والشجر والكف والإصبع، وهذه هي وحــدات القيــاس القديمة .. وقد سُجل على هذا الحجر جميع أسماء ملوك الأسر الخمس ! كما سجل عليه ٦٣ مقياس للنيل .. وقد سُجل عليه ٤٣ فيضان عالي الامواج.

وقد سُجل على حجر آخر يرجع إلى أحد ملوك الأسرة السابعة، وقد سُجل على هذا الحجر ١٠٠ مقياس للنيل سُجلت في عهد الملك «خاست»، وسُجل عليه مقياس النيل في عهد الملك «سمرحت»، وسُجل عليه ٢١ مقياس للنيل ترجع إلى عهد الأسرة الثامنة .. و ١٣ فيضان يرجع عهدها إلى عهد الملك «خا سخموي»، وكان أقل منسوب للنيل في عهد الدولة القديمة ٥٢ سنتيمتر، وكان ذلك عام ٢٨١٣ قبل الميلاد .. وقد كان أقل فيضان مُسجَّل فيما بين الأسرة الأولى والخامسة هو ١,٨ متر .. وقد سُجل أقل منسوب في عهد الأسرة الرابعة ٢,٧ متر .. وقد عُثر على عمود مقياس النيل بجزيرة سهيل بالسوادن، ويرجع زمن هذا العمود إلى بطليموس الثالث، وقد ظهر هذا العمود مُسجل عليه مقياس النيل في معبد «خنوم»، وقد سُجل هذا المقياس بالمقياس المحمول وهو المعروف بـ«الشاقول»، وهو ما يعرف الآن بميزان البناء .. وقد عُثر على شبكة التصريف النهري القديم بمدينة سقارة ممَّا أكد ارتفاع الفيضان إلى ٢٠,٢ متر وهو ما يعادل ١,٤ متر من المقياس المُسجَّل على حجر بالرموا .. وهو ما يعادل التصريف النهري عام ١٨٧٨ م أي ما يعادل ٤١ مليون متر مكعب من الماء.

عصر القصور والاضمحلال:

يُعد تفكك دولة «الأكاديين» وتحطُّم بعلبك وسوريا وفلسطين بعد الأسرة الخامسة من عصر «الهولو ستين» المطير، وبعد انتهاء العصر البروتري بكارثة في دولة الأناضول والتي كان السبب في انهيارها هو قلَّة الأمطار ممَّا كان سببًا في القصور والاضمحلال خصوصًا مع بداية عام ٢٢٠٠ قبل الميلاد إلى عام ١٧٠٠ قبل الميلاد مع بداية الأسرة السادسة، ممَّا يُؤكد حالة التدهور وانتشار المجاعات التي نزلت بمصر بسبب نقصان وجفاف مياه النيل، وتُعد هذه هي المرحلة الثانية لانخفاض مياه النيل في هذا الوقت إلى أن جاءت الأسرة الثانية عشرة، أي في

منتصف حكم الملك «منتوحتب الثالث» والذي استمرَّ حكمة اثني عشرة عام .. ممَّا دلت عليه نقوش الكوم الأحمر ومعابد أدفو خصوصًا على جداران مقبرة «المعلا»، وهي على بعد ٣٠ كيلو من مدينة الأقصر .. وقد نُقش على هذه الجدران التي لا يصل إلى الجسور ولم تظهر آثار الطمي إلى فيضانات متأخرة .. وكان هذا فيما بين ٥٠٠ إلى ٣٠٠ قبل الميلاد .. وقد ذُكر في أحد النصوص أنَّ أرض السودان كانت الشمس لاتغرب إلاَّ بعد أن تُغطيها بالزوابع لأنَّ الرِّمال كانت تزحف على الأرض الزراعية بسبب الجفاف ونقصان مياه النيل في عهد الدولة القديمة.

النيل في عهد الدولي الوسطى:

تعدد أحول النيل في عهد الدولة الوسطى

١٨٤٠ إلى ٧٧٠ قبل الميلاد بداية ظهور الدولة الوسطى، حيث كان بداية ظهور الرَّخاء، خصوصًا مع بداية عهد الملك «أمنحتب الأول» بسبب زيادة النيل وكثرة فيضانه ممًا كان سبب في اختفاء المجاعات وانتعاش البلاد بدل من التدهور .. وقد زاد هذا الانتعاش في عهد «سنوسرت الأول» ١٩٧١ - ١٢٨٠ قبل الميلاد، وذلك لأنَّ فيضان النيل قد زاد إلى حدٍّ كبير والذي يُقدَّر ٢١,٥ ذراع، أي ما يُقدَّر بـ ١١,٣ مترًا حيث وصلت مياه النيل بسبب ارتفاع الفيضان إلى جزيرة «الفانتين» بأسوان إلى ١٢,٥ ذراع، وإلى أن وصل منف بمقدار ٦,٥ ذراع، أي ٣,٤ متر في «ديو سبولس»، وهي ما تُسمَّى اليوم بـ «تل البلامون»، وقد ظلَّ فيضان النيل إلى ما يقرب من هذه المقادير حتى عصر الأسرة التاسعة عشرة، حيث أنه زاد على فيضان سنوسرت الأول بما يُقدَّر بحوالي ثلاثة أمتار على نفس مقياس الملوك السابقين لهذا الملك، وقد وصل بعد ذلك عام ١٨٨٧ قبل الميلاد إلى ٨,٨٥ متر، ويُعد هذا أعلى منسوب للفيضان ممَّا كان سببًا في زيادة

الرُّقعة الزِّراعية في عهد الدولة الوسطى، وظلَّ ذلك الفيضـــان حتـــى عـــام ١٨٤٠ قبل الميلاد ممَّا كان سبب في ازدهار الحالة الاقتصادية في عهد الدولة الوسطى، وقد سُجل مقدار هذا الفيضان على أحد صخور جرف منطقة سمنة، والتي تمَّ العثور عليه عام ١٨٥٣م لمدة تسعين عامًا متتالية، وقد وصل هـــذا الفيضان إلى عشرة أمتار، كما سُجل على هذه الصخور زيادة عُمـــق البحـــر بسبب النحوت والنحور المائية الذي وصل إلى ثمانية أمتار.

وقد أكَّد ذلك العديد من السدود التي أقيمت فـــي عهـــد الدولـــة الوســـطى خصوصًا سدود بلاد النوبة، كما أكَّد ذلك عدم تصريف مياه النهر فيما بـــين عامي ١٨٤٠ إلى ١٧٧٠ قبل الميلاد .. حتى يعد أنه يكاد لم يُذكر أي شـــيء عنه وقد وصل التصريف النهري بعد ذلك إلى ما يُقـــدَّر ١٨٠ مليـــون متـــر مكعب من مياه النيل في عهد الدولة الوسطى ممَّا يُؤكِّد عدم وجـــود حـــالات التدهور وظهور الكوارث في عهد هذه الدولة وذلك بسبب استغلال المهندسين في هذه الدولة الاستغلال الجيد لمياه النيـــل وفيضـــانه فـــي زيـــادة الرقعـــة الزراعية، وذلك عن طريق إقامة السدود لتخزين المياه الفائضة خلف هـــذه السدود، وقد أكَّد ذلك تحويل منخفض الفيوم إلى مفيض لحمايـــة الـــدلتا مـــن الغرق، خصوصًا أن هذا قد تصادف مع زيادة تساقط الأمطـــار فـــي بـــلاد النوبة .. وقد ذكر أنَّ في عهد الملك الذي حكم «طهرقـــا» عـــام ٦٨٣ قبـــل الميلاد .. وكان هذا الفيضان سبب في تغيير اسم بلاد النوبة إلـــى «أبرقـــت وأغرقت» بسبب شدَّة الفيضان، وقد توافق ذلك مع زيادة سقوط الأمطار على بلاد أثيوبيا، وكان ذلك سبب في هبوب التيارات الهوائية الباردة على مصـــر خصوصًا مياه النيل الأزرق ونيل عطبرة.

أحوال النيل في عهد الأسرة ٢٠ إلى ٢١ :

تُقدَّر أحوال النيل في عهد الأسرة العشرين والأسرة الحادية والعشرين بقلَّة الفيضان ممَّا كان سبب في انتشار العنف والفوضى وانخفاض مستوى منسوب المياة خصوصًا أن هذه الجفاف ظل أكثر من ٢٠٠ عام ويذكر أن هذا هو العهد الذي دخل فيه الهكسوس مصر مما كان سبب في سهولة سقوط منف عاصمة الدولة في يد الهكسوس .. وكان ذلك عام ١٦٧٤ قبل الميلاد واستمر هذا الجفاف إلى عام ١٥٧٠ قبل الميلاد.

وتُعد هذه الفترة هي فترة الضعف والغموض في حياة هاتين الأسرتين وفي حياة النيل أيضًا، ويُذكر أنَّ ذلك كان في عهد سيدنا يوسف عليه السلام .. وقد ذكرت الكتب السماوية ذلك .. كما ذكرت أنَّ ذلك كان بالقرب من مدينة «أدنو»، وأنَّ ذلك كان عام ١٧٤٠ قبل الميلاد، إلاَّ أنَّ القرآن الكريم قد ذكر هذه الفترة من الجفاف والمجاعة بأنها سبع سنين عجاف.

وقد ذكر أنَّ الملك كان يركب النيل ليصل إلى معبد الكرنك، وأنه يتعجَّب من عدم استغلال مياه النيل التي وصلت إلى ٧٤,٢٥ متر عن سطح البحر، ويُعد هذا آخر فيضان في عهد الأسرة العشرين والحادية والعشرين، وقد ظلَّ هذا الفيضان إلى ٣٣٠ عام، أي مع بداية ظهور الدولة الحديثة وأواخرحكم الملك رمسيس الثاني، أي عام ١٥٧٠ ــ ١٢٤٠ قبل الميلاد .. ويُذكر أنَّ النيل قد انخفض فيضانه وطالت سنوات الجفاف إلى أكثر من ٢٥٥ عام خلال الأسرتين العشرين والحادية والعشرين ممَّا كان سبب في تدهور الأحوال الاقتصادية والسياسية والأمنية لهما ممَّا كان سبب في انتشار السلب والنهب خصوصًا في مدينة «حريحور» في الجنوب التي كان يحكمها الكاهن «س مندس» وهي مدينة «تانيس» أو «صان الحجر» ممَّا كان هذا الجفاف سبب في حدوث الاضطرابات خلال الخمسين عام

الأخيرة من عهد الأسرة الحادية والعشرين، كما كان ذلك سبب في غلاء الأسعار، والدليل على ذلك ظهور صوامع الغلال التي لم تكن موجودة من قبل بسبب عدم وجود الأمن والاستقرار في البلاد إلى خمسة أذرع، وظلّ هذا الوضع إلى عام ٤٥ ميلادية إلى أن زاد في عام واحد - وهو وقت حكم «نيرو» عام ٦٧ ميلادية - إلى ٢٤ ذراع و ٦ كف وأصبع واحد، وإلى ٢٥ ذراع في عهد «تراجان» ممًا جعل تجار الهند يعبرون الصحراء الشرقية لمصر إلى ميناء «برنيس» الواقع على البحر الأحمر عند مدينة أسوان والتي تقع على البحر الأحمر إلى مدينة قوص.

أعياد النيل:

لقد جعل الله الماء سبب في كل شيء حي .. ولقد قدَّر الإنسان الماء حيث وجده، أمًّا المصري فقد زاد تقديره للنيل فقد احتفل بقدومه وفيضانه ومقاييسه .. وقد جعل لهذا النهر عدَّة أعياد، وكان أهم وأشهر هذه الأعياد هي:

عيد وفاء النيل:

كان الاحتفال بهذا العيد يوم ١٢ بئونة، كما يُعد عيد وفاء النيل هو أشهر الأعياد القومية في حياة المصريين من حيث الأعياد الدينية عند القدماء المصريين .. وكان هذا العيد يُحتفل به أكثر من مرَّة على مدار العام، وكان الاحتفال بعيد وفاء النيل يبدأ عندما يرى المراقبون لمياه النيل زيادة في مياه النيل فكانوا يقدمون بإبلاغ المسئول بفيضان النيل .. وكانت هذه المراقبة تكون عند بداية دخول النيل مصر بأرض الصعيد، وكانوا يُسجلون ارتفاع مياه النيل وفيضانه .. وتذكر النقوش الفرعونية على جدران المعابد زيادة النيل، فقد بلغت أعلى ارتفاع لمنسوب مياه النيل ستة عشرة ذراعًا .. وعند زيادة النيل يخرج المُبلِّغ من صعيد مصر إلى منف العاصمة ليعلن في المعابد خبر زيادة النيل .. وكان عيد وفاء النيل معناه تقدير الخراج وقيمته وموعده.

وكان الاحتفال بعيد وفاء النيل بإلقاء أجمل الفتيات في ماء النيل في حفل كبير بعد تعويض والدها بالمال لتكون محل شكر وتقدير وتقديس لهذا النهر الخالد على ما جاء به من خير كبير، وظلّ الاحتفال بذلك العيد في مصر إلى أن أبطله عمرو بن العاص بأمر من سيدنا عمر بن الخطاب بعد فتحة لمصر عام ٢٠ هـ

عيد ليلة الغطاس:

كان المصريين القدماء يحتفلون بعيد الغطاس يوم الحادي عشر من شهر طوبة من كل عام، وكان هذا الاحتفال معروف عند المسيحيين في مصر قبل الفتح العربي ودخول الإسلام إلى مصر، وكانت الاحتفالات بعيد الغطاس تقام على شاطئ النيل، وكان كل صاحب مرض يغطس في ماء النيل في هذا الاحتفال ليشفى من مرضه.

ويذكر المسعودي عن عيد الغطاس أنه حضر أحد الاحتفالات بهذا العيد عام ٣٣٠ هـ، وكان ذلك في عهد محمد بن طفج الأخشيدى .. ويذكر أنّ هذا الاحتفال قد حضره أكثر من مائة ألف شخص من أهل مصر لِما لهذا العيد من قيمة في نفوس المصريين من المسلمين والنصارى .. ويذكر المسعودي أنّ مصر باتت مُضاءة في هذه الليلة بالمشاعل حتى صباح اليوم التالي، وأنّ أهل مصر لا يعرفون النوم في هذه الليلة، وأنّ الدواوين لا تُغلق في هذا اليوم وهذه الليلة، وأنّ الناس جميعًا يتسابقون في الغطس في ماء النيل ليكون ذلك سبب في أن يكونوا في أمان من المرض .. وقيل أنّ الكثيرين منهم كانوا يقضون الليلة بكاملها في ماء النيل، وكان الحكام يُوزعون على الحاضرين المأكولات والمشروبات التي أُعدّت للاحتفال بهذا العيد، وكان غالب هذه المأكولات هو السمك وعصير القصب والليمون قد تبرّع بها القادرون لإقامة هذا الحفل.

عيد الشهيد:

كان الاحتفال بعيد الشهيد يُقام يوم الثامن من شهر «بشنس»، وقد ذكر ابن عبد الحكم هذا العيد أنه من الأعياد المصرية قبل الفتح الاسلامي، وأنه قد ظلَّ إلى عهد قريب الاحتفال بهذا العيد .. فقد ذكره علي مبارك إلاَّ أنه ذكر أنَّ سيدنا عمرو بن العاص قد أبطل الاحتفال بهذا العيد .. وذكر ابن فضل أنه إذا زاد النيل كان يخرج تابوت يقال إنَّ فيه شهيد ويُلقى به في ماء النيل لأنَّ ذلك كان من عقائد المسيحيِّين في مصر أنه يُزيد من ماء النيل، ويذكر كثير من المؤرخون أنَّ هذا العيد كان من أفخم الأعياد التي أقيمت للنيل .. وكان من مظاهر الاحتفال بهذا العيد أكل المحرمات .. وظلَّت الاحتفالات بهذا العيد قائمة إلى عام ٧٥٥ هـ ــ ١٣٥٤ م، وأحرق هذا التابوت وألقى به في النيل .. ويُذكر أن النيل زاد من نفسه في العام التالى دون إلقاء التابوت وإلقائه في النيل حتى قيل أن النيل قد زاد زيادة بالغة لم يعرفها من قبل حتى وصل إلى عشرين ذراعًا.

عروس النيل ــ زواج النيل:

كانت من عادة القدماء المصرين إلقاء أجمل الفتيات في ماء النيل وذلك إرضاءً للنيل وشكرًا له على زيادته، وذلك بعد منح أبوها مبلغًا من المال وتزيين هذه الفتاة لتظهر في أجمل حسنها وبهائها وأفخر الملابس والذهب والأساور وكافة مظاهر الزينة لتكون عروس لهذا النهر المقدَّس، وكان هذا الاحتفال يُقام يوم الثاني عشر من شهر بئونة ليتزوَّج النيل هذه الفتاة الجميلة العذراء .. ويُلقَى بها في ماء النيل .. وكان الشباب يتسابقون في الغطس في ماء النيل ليحصل كل منهم على هذه الفتاة الحسناء .. وقد وُجد ثمانية تماثيل على جداران المعابد تُؤكد احتفال القدماء بذلك، وذلك تقدير للنيل وفيضانه، وكان يرمز لهذه العروس بالإلة «جعبى»، وقيل أنه لم يرقَ إلى مرتبة الإله حتى بداية العصر الروماني، وقد ظهر ذلك على جدران معابد

دندرة ومعبد جزيرة فيلة بأسوان .. وأنَّ هذا الإله يخرج من بداية بعض سنابل القمح وبيد الكاهن جرَّة من الماء يروي هذه السنابل.

كما أنَّ القدماء قد اعتقدوا أنَّ أوزوريس أشهر الإله في الدولة القديمة أنه باعث المحاصيل في مواسمها.

وعندما فتح سيدنا عمرو بن العاص مصر عام ٢٠ هـ وجد أهل مصر يحتفلون بهذا العيد فكتب إلى سيدنا عمر بن الخطاب بهذا الخبر بعد شاهد سيدنا عمرو بن العاص بعد جفاف النيل بشهرين هما شهري أبيب ومسرى .. ولمَّا وصلت رسالة عمرو بن العاص إلى سيدنا عمر بن الخطاب قرأها وكتب رسالة أخرى إلى سيدنا عمرو بن العاص وأمره أن يُلقي بها في النيل، وقد كتب فيها ما هو معناه:

«أيها النيل، إن كنت تجري بهذه العادة فلا تجري .. وإن كنت تجري من عند الله فسر على بركة الله تعالى» .. وفعل سيدنا عمرو بن العاص ذلك فزاد النيل ومن هنا بدأ إبطال الاحتفال بعروس النيل بهذه الطريقة.

مظاهر الاحتفال بأعياد النيل:

١ ـ الفاطميون

كان أول احتفال للفاطميِّين بأعياد النيل كان في شهر ذي القعدة عام ٣٦٢ هـ الموافق أغسطس من عام ٩٧٣م، وكان بمدينة عين شمس، وكان هذا الحفل يُقام لكسر السد، وكان الخليفة يقوم بنفسه بكسر السد هو ورجال الدولة .. وكان ميعاد كسر السد يُحدد يوم عيد الصليب كما ذكر المسعودي أنَّ عبد العزيز بن مروان هو الذي بنى هذا السد، وكان هذا العيد يُسمَّى بعيد ركوب الخليج، وكان الخليفة يكون على رأس هذا الركب، وكان يصلون لله شكرًا على زيادة النيل، وكان العامة يحضرون هذا الحفل لينالون من بر وكرم الخليفة في هذا اليوم .. وظلَّ هذا الاحتفال في عهدهم إلى عام ٤٠١ هـ.

٢ـ أعياد النيل في الإسلام

كان الناس يجتمعون في مسجد المقياس بمصر ليقرءون القرآن الكـريم، وفـي صباح الاحتفال بأعياد النيل يختم القرآن الكريم، ثم يخرج الخليفة بنفسـه ليضـع العطور على عمود مقياس النيل، ثم يصلي ركعتين بالمسجد هو ومن معـه مـن رجال الدولة وعامة الشعب .. ثم تُوزع الهدايا على الحاضرين وتُقام الموائد فرحًا بدخول النيل وفيضانه إلى مصر.

ثم تُكتب الرَّسائل على الأمراء ليعلنوا هذا الخبر السعيد وعلى جميع الناس فـي أنحاء البلاد، وكان ذلك يكون في أول أيام شهر توت.

٣ ـ الاحتفال عند الأيُّوبيِّين

ذكر القلقشندي والمقريزي احتفالات أعياد النيل في عهد الدولة الأيوبية، وأنَّ هذا الاحتفال لم يقل عن احتفالات الفاطميين بالنيل، وذكر أنَّ صلاح الدين كان يركـب الخليج لتخليق المقياس بالعطور يوم ١٧ من شهر ربيع الأول في شـهر مسـرى، وأنه وصل إلى الخليج في ربيع الآخر كما ذكر أن السلطان العزيز بن عثمان قـد فتح السد بيده عام ٥٩٢ هـ، وأنَّ هذه الاحتفالات ظلَّ العمل بها إلى عهد المماليك، وأنَّ الظاهر برقوق قد حضر هذا الاحتفال بنفسه عام ٧٨٥ هـ، وقد اهتم الظاهر بيبرس بهذه الاحتفالات.

٤ ـ احتفال العثمانيِّين

كان الاحتفال بعيد وفاء النيل في عهد الدولة العثمانية يبدأ مـن القلعـة وذلـك بركوب المركبة من بولاق بمصر لكسر فم سد الخليج، وكـان الموكـب يخـرج بالمراكب المزيَّنة بالورد وأنواع الزينة، وكان يتقدَّم هذا الحفل السلطاني العثمـاني وخلفه الأمراء وعامة الشعب .. وكان الركب يسير إلى مقياس الروضة ثم يستمر الحفل يومين تقام فيها الولائم والموائد احتفالاً بهذا العيد السعيد حتى يسعد الفقـراء

وعامة الناس في هذا اليوم السعيد .. وكان السد يفتح في هذا اليوم قبل طلوع الشمس وكان هذا اليوم من الأيام المشهورة في حياة المصريين في عهد الدولة العثمانية.

٥ ـ احتفال الفرنسيِّين

كان القادة الفرنسيون يشاركون عامة الشعب في الاحتفال بأعياد وفاء النيل .. وقد وصف ذلك علي مبارك وخصوصًا احتفالاتهم عام ١٢١٣ هـ ـ ١٧٩٨ م، ويقول في هذا الوصف كما كان نابليون يحضر على رأس هذا الحفل ومعه كافة قادة الجيش وجميع رجال الديوان، وكانت القافلة تتجه صباح يوم الاحتفال .. وكانت تطلق النيران من المدافع وتعزف الآلات الموسيقية فرحًا بهذا اليوم وبزيادة النيل، وظلُّوا يحتفلون بهذا العيد إلى أن خرجوا من مصر، وكانت أكبر زيادة للنيل في عهدهم قد بلغت خمسة عشرة ذراعًا، وكانت الخيام تقام على جانبي النيل يحضرها الأمراء والقناص، وكان ينادَى بهذا الخبر السعيد في كل مكان.

بحر يوسف:

لقد أوحى الله سبحانه وتعالى إلى سيدنا يوسف ﷺ أن يحفر ثلاثة خلجان: الأول في صعيد مصر، والثاني شرق الصعيد، والثالث غرب الصعيد .. وقد حدَّد الله موقع كل من هذه الخلجان الثلاثة .. وقد حفر سيدنا يوسف ﷺ خليج المنهى، وهو يبدأ من مدينة أشمون إلى مدينة اللاهون .. وحفر الخليج الآخر بالفيوم شرقًا، وهو الذي يمر بقرية «قنهمت»، ويقال أن هذا هو الخليج العربي، وأنَّ ماؤه يخرج من الخليج الشرقي ويصب في النيل .. أمَّا الخليج العربي فكان يصب في الصحراء عند قرية «قنهمت»، وقد وصف الإدريسيى هذا الخليج (خليج المنهى) بأنه يخرج من الغرب عند مدينة صول ويمر بمدينة البهنسا ويصل إلى مدينة أهناس ثم يصل إلى مدينة اللاهون ويمر بمدينة «دلاص» بالقرب من مدينة «أخميم» .. وقد ذكر

الإدريسيى أنَّ مدينة المنهى هي مدينة سوهاج الحالية، وكان هـذا الخلـيج يمـر بالترعة السوهاجية إلى ترعة ديروط، ثم يصل إلى بحر يوسف ليصب فيه .. وقد ذكر الإدريسيى أنَّ هذا الماء يظل باقي العام .. إلاَّ أنَّ هذا الخليج قد جفَّ ماؤه عام بسبب إهماله إلى أن جاء نجم الدين أيوب فأعاد حفره لِما له من أهمية حتى أصبح لا ينقطع جريانه طول العام .. وقيل أن سيدنا يوسف عليه السلام قد حفره فـي سـبعين يوم .. ولمَّا خرج عزيز مصر إلى هذا البحر وجده قد حُفر في سبعين يوم فقال إن هذا العمل يحتاج إلى ألف يوم .. ولذلك سمِّيت هذه المدينة بمدينة الفيوم.

منخفض الفيوم:

يُعد منخفض الفيوم عميق، وهو محفور في هضبة جيريَّة، ويؤدِّي إلى الفرافرة، وهي تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة القاهرة، ويقع في الجانب الشـمالي مـن بحيرة قارون التي تنخفض عن مستوى البحر بحوالي خمسة وأربعون متر .. أمَّـا بقية منخفض الفيوم يقع في مستوى أقل من سطح البحر بحوالي ثلاثـة وعشـرين متر، وتصل مساحة هذا المنخفض إلى ١٢٠٠٠ كم٢، وتصل مساحة بحيرة قارون ٢١٤,٤ كم٢، ولا يزيد عمقها عن ٧,٦ متر .. ومصدر ماؤها اليوم مـن ترعـة الإبراهيمية بعد ردم مخرجها القديم عام ١٨٦٩ م .. ويوجد بالقرب من مـنخفض الفيوم منخفض الريان، ويصل اتساعه خمسة عشرة مترًا، ومساحته ٧٠٠ كـم٢، وينخفض عن سطح البحر حوالي ٤٢ متر، وهذا المنخفض خالي من جميع رواسب النيل.

وكان هذا الخليج سبب في ازدهار مصر في عهد سيدنا يوسف عليه السلام ممَّا جعـل عزيز مصر يرفعه إلى هذه المكانة ويقلده قلاده من ذهب حول رقبتـه .. كمـا أن بني إسرائيل لم يدخلوا مصر فاتحين، بل دخلوها بعد ذل وضعف وجوع، وأنهـم جاءوا إليها ليعيشوا عليها أحرار بعد أن كانوا عبيد قد سيطر عليهم الفقر والجوع،

فكان سيدنا يوسف عليه السلام سببًا في رعايتهم بما قدَّمه لهذا الملك من إخلاص وطاعة لله على أرض مصر المباركة.

النيل وسيدنا موسى:

كثيرًا ما يرد الناس الأوفياء لمصر لقب «ابن النيل»، فقد كانت هذه العبارة أول ما أُطلقت كانت على ابن النيل الأول والحقيقي هو سيدنا موسى عليه السلام، فلقد سُمِّي سيدنا موسى عليه السلام بابن النيل بعد أن كاد أن يُقتل مع أكثر من عشرين ألف طفل قتلهم فرعون مصر خشية أن يضيع ملكه على يد أحد هؤلاء الأطفال كما قال له المفسِّرون بعد أن رأى في منامه رؤياه الشهيرة بأن ذهاب ملكه وموته على يد أحد هؤلاء الأطفال .. وكاد سيدنا موسى أن يكون من بين هؤلاء الأطفال ولكن الله حفظه بحفظه وأوحى إلى أمه أن ترضعه وأن تضعه في صندوق من الخشب وأن تُلقي به في النيل، كما أنَّ الله قد وعدها أن يردَّه إليها، وأن يجعله من المرسلين، وربط الله على قلب أم موسى .. وكان النيل هو الرسول الأمين الذي حمل سيدنا موسى إلى قصر فرعون، كما أن الله سبحانه وتعالى قذف بحبه في قلب آسية امرأة فرعون فقالت لزوجها:

«لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا» .. ولذلك سُمِّي سيدنا موسى «ابن النيل»، ومعنى «موسى» فهي مكونة من قسمين: القسم الأول «مو» ومعناها «الابن»، أمَّا النصف الثاني وهو «مشى»، معناها «النيل» أو «النشيل» من النيل .. ومعنى كلمة «موسى» هي «ابن النيل» أو «نشيل الماء»، ويعيش ابن النيل في قصر عدوه الذي يبحث عنه، وتمضي الأيام يومًا فيوم وشهر فشهر وعام فعام حتى أصبح سيدنا موسى شابًا قويًا قد بلغ أشده، إلاَّ أن الله أراد أن يكون نبيًا وأن يخرج ليتعلَّم أخلاق النبوة على يد سيدنا شعيب أو كاهن مدين بعد أن قتل رجل من أهل مصر، وظلَّ سيدنا موسى يعمل راعيًا عند شعيب على أرض النيل، إلى أن أراد الله سبحانه

وتعالى أن يكون ابن النيل هو رسول الله إلى جبار الأرض فرعون مصـــر الـــذي يدَّعِي الألوهية والذي قتل الاف الأطفال واستحيا النساء، ولكن سيدنا موسى لم يهب ولم يخف لأنه رسول رب العالمين أرسله لينقذ أبناء مصر من هذا الاستبعاد، كمـــا أنقذهم جدهم سيدنا موسى عليه السلام من الجوع قبل ذلك.

بحر أمير المؤمنين:

بحر «أمير المؤمنين» أو خليج «أمير المؤمنين» هكذا قد عُرف هـــذا المجـــرى المائي، كما أنه قد حُفر عدَّة مرات قبل أمير المؤمنين، وقد ذكرت كتـــب التـــاريخ والجغرافيا هذه المحاولات .. ومن محاولات حفر هذا الخليج نذكر:

١ ـــ قناة سيدنا إبراهيم عليه السلام، فبعد أن زار سيدنا إبراهيم عليه السلام مصر، وبعد أن أهداه حاكمها السيدة هاجر، وبعد أن تزوَّجها وتركها هي وابنها سيدنا إسماعيل بـــأرض الحجاز، فقد استغاثت السيدة هاجر بالملك في مصر فحفر هذه القناة، وجُدِّدت بعـــد ذلك عدَّة مرات .. ومن الذين جدَّدوها هو ملك الروم «أندرو مانوس»، وحفرها بعد ذلك أحد ملوك منف «طوطيس بيى ماليا»، وكانت هذه القناة تربط بين النيل والبحر الأحمر، وقيل أنَّ جانب منها كان يسير مع ترعة السلام الحالية بأرض سيناء.

في عهد بسماتيك الأول:

لقد حاول بسماتيك الأول حفر هذه القناة قبل الميلاد عام ٥٩٣ قبل المـــيلاد، إلاَّ أنه لم يُكمل الحفر .. وقد أكمل حفرها من بعده دارا الأول، إلاَّ أنه لم يكمل الحفـــر هو الآخر بسبب القول الخاطئ بأنَّ مستوى البحر الأحمر أعلى من مستوى النيل، وأنَّ ذلك سوف يُؤدِّي إلى إغراق مصر بالكامل، إلاَّ أنَّ البطالمة قد حفروها بعـــد ذلك في زمن بطليموس الثالث، وعرفت في هذا الوقت بقناة بطليموس، إلاَّ أنها لـــم يطل عليها الزَّمن فرُدمت بسبب الحروب خوفًا على مصر وتأمين مداخلها الشرقية.

الإسكندر الأكبر:

بعد فتح الإسكندر الأكبر الإسكندرية عام ٣٣١ قبل الميلاد حفر خليج الإسكندرية لما كانت إليه الإسكندرية في حاجة إلى الماء، وكان هذا الخليج يبدأ من الفرع الكانوني ويمر ببحيرة مريوط، وقد ساعد هذا الخليج إلى رواج التجارة وأعمال الملاحة في الوجة البحري في مصر، وكذلك الجانب الشرقي والغربي من أرض مصر .. وظلَّ هذا الخليج ذات أهمية إلى منتصف القرن الخامس الميلادي، وقد بلغ طول هذا الخليج ١١٨ كيلو متر، إلاَّ أنه قد رُدم بالرِّمال في عهد الروم بسبب إهمال هذا الخليج، إلاَّ أنَّ الظاهر بيبرس قد أعاد حفره عام ٦٦٤هـ .. كما أنَّ الناصر قلاوون قد جدَّده عام ٧١٠ هـ ونقل فتحته إلى كفر الحوامدية شمال مدينة دمنهور، وظلَّ هذا الخليج يعمل حتى عام ٧٧٠ هـ

في عهد عمر بن الخطاب:

أمر سيدنا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين عمرو بن العاص بحفر قناة أمير المؤمنين بسبب المجاعة التي أصابت البلاد في الحجاز في عام الرمادة، وذلك لنقل البضائع والطعام من مصر إلى بلاد الحجاز، وليكون هذا الخليج طريق لهذه السُفن .. وقيل أنَّ هذا الخليج قد حُفر عام ٢٣ هـ - ٦٤٤ م، وقد استغرق حفر هذا الخليج سبع شهور، وكان هذا الخليج يربط بين النيل والبحر الأحمر، كما كان في عهد بسماتيك الأول ومن جاءوا بعده، وقد ظلَّ هذا الخيلج زمن طويل .. وقد عرف بعد ذلك بقناة «تؤاجان»، وكان مسار هذا الخليج يبدأ من النيل شمال مدينة بابليون ويمر بمدينة عين شمس ووادي الطيلان ويمر بقناة الإسماعيلية ثم يتجه جنوبًا إلى قناة السويس عند بحيرة التمساح، كما أنَّ هذا الخليج يمر بالبحيرات المرَّة .. وقد سمِّي في أحد العصور بـ«قناة البحر الأحمر» لأنه كان بالقرب منها لأنها كانت تبدأ من الفرع البيلوزي عند السويس الحالية .. وقد ذكرت كُتب التاريخ

أن عمرو بن العاص أمير المؤمنين قد حرف مكانها قبل حفرها، وأنـــه قــد استعان بأحد الأقباط ليُحدِّد له مسار هذه القناة ليصل حفرها، وقيل أن أميــر المؤمنين قد رفع الجزية عنه مقابل أن هداهم إلى مكان القناة، وقيل أنـــه ردم بعد ذلك جانب منها وذلك بسبب أحد الآراء أنَّ الروم من الممكن أن يــدخلوا مصر عن طريق هذا الخليج .. ويُذكر أن أبي جعفــر المنصـــور ردم هــذا الخليج في عصره ليقطع الطعام عن أهل مكه والمدينة بعد أن خـــرج عليـــه محمد بن عبد الله بن الحسن عام ١٥٨هـــ ـــ ٧٧٥ م.

المستعلي بالله:

لقد أهملت هذه القناة بعد ذلك، كما أهمل خليج أبو المنجا الذي حفره المســتعلي بالله الفاطمي عام ٥٠٦ هـــ، وقد استعان باليهود في حفرها وتجديدها، ويُــذكر أنَّ الأخشيديِّين قد حفروها من قبل في زمن الخليفة الظاهر الفاطمي، وأنه قد بنى عليها قصر اللؤلؤة وقصر الجوهرة، وكان هذا الخليج يستمد ماءه من خلـيج «الخـــور» الذي حفره الناصر قلاوون عام ٧٢٤هـــ وعُرف بعد ذلك بخليج أمير المؤمنين ممَّا كان سبب في أن تغرق القاهرة بسبب حفر هذين الخليجين وارتفاع مياه أحد الفروع فردم هذا الخليج.

الاشرف برسباي:

وقد أعاد الأشرف برسباي حفر هذا الخليج عام ٨٢٦هـــ في تسعين يوم فقــط، إلاَّ أنه نقل فتحة هذا الخليج وجعلها تبدأ عند الرَّحمانية، إلاَّ أنه أُهمل بعد ذلك إلـــى أن جاء محمد علي باشا فحفر ترعة المحمودية التي عرفت بعـــد بـــذلك بترعـــة الإشراقية بعد ما عُرفت قبل ذلك بخليج الإسكندرية، وقيل أنها خليج أمير المؤمنين وإن كان قد غير من مجراه في عهده إلى ذلك.

فروع النيل السبعة:

ذكر الخوازمي نقلاً عن العالم الشهير بطليموس أنَّ النيل كان قديمًا ينتهي بسبعة فروع، وكانت هذه الفروع تبدأ عند مدينة الفسطاط وهي القاهرة الحالية، وكانت هذه الفروع السبعة تصب في البحر الأبيض المتوسط بينه وبين الإسكندرية ودمياط، وظلت هذه الفروع معروفة إلى عصر ما قبل الإسلام .. وقد ذكرها ابن عبد الحكم، كما ذكر أنَّ بعض هذه الفروع كان موجودًا في عصر الفتح الإسلامي لمصر، وقد اتفق كل من علماء التاريخ والجغرافيا وكذلك الرَّحالة أنَّ هذه الفروع هي:

١ ــ فرع منف ٢ ــ فرع سخا ٣ ــ فرع سروس

٤ ــ فرع الفرما ٥ ــ فرع أبو صير ٦ ــ فرع رشيد ٧ ــ فرع دمياط

وقيل أن هذه الفروع كانت تُسمَّى بأسماء أكبر المدن القديمة في التاريخ، وأن أسماؤها هي في العصر الفرعوني:

١ ــ فرع أكسوبا ٢ ــ فرع تانيس

٣ ــ قرع سايس ٤ ــ فرع منديس

٥ ــ فرع مابنتويس ٦ ــ فرع بوبا ستا

وقد ذكرت التوراة في «سِفر التكوين» أنَّ الله سبحانه وتعالى خلق العالم في سبعة أيام، وجعل النيل سبع فروع .. وقيل أنَّ هذا العدد هو الذي اختاره الله من بين أقواله الحكمية، فأيام الأسبوع سبع والسموات سبع والأرض سبع وفروع النيل سبع.

فروع النيل:

١ ــ فرع منف:

ذكر ابن عبد الحكم وغيره بأن فرع منف كان يبدأ عند قرية «طول ناك» قبل أهرام يوسف ﷺ بمسافة قليلة، وكان هذا الفرع يصب عند مدينة الإسكندرية، وهذا الفرع كان من الفروع القديمة التي جفّت في العصر الحديث.

٢ــ فرع سخا الترمتياك:

ذكر ابن عبد الحكم عن فرع سخا أنه ليس من الفروع الطبيعة، وأنّ أحد ملوك مصر هو الذي قام بحفره، وأنه كان يمر بمدينة سخا الحالية الموجودة بمحافظة كفر الشيخ .. وذكر عمر طوسون أنه يمثل فرع الترمتياك، وهو الفرع الذي عُرف بعد ذلك بفرع أبيار، وأنه كان يُفتح في اليوم الثامن من شهر بابة كل عام.

٣ ــ فرع سروس ــ السنبت:

يقول ابن سرابيون إن فرع سروس يخرج من أسفل مصر ويمر بمدينة سروس ثم يمر بمدينة أبو صير، وهي قرية من قرى مركز سمنود، ثم يمر بمدينة شطانوف ثم قناة الزيتون غرب قليوب، ثم يمر بالإسكندرية ثم القرماطية ثم كفر فرسنيس، ثم يتجه إلى مدينة دمياط .. وقيل أنّ الذي حفر هذا الفرع هو الوزير هامان وزير فرعون سيدنا موسى ﷺ، إلاّ أنّ هذا الفرع قد فقد أهميته بعد حفر خليج أبو المنجا في عهد الأفضل شاهنشاه وزير المستعلي عام ٥٠٦هـ، وقد بقي هذا الفرع مجرد ترعة صغيرة .. وقد ذكر هذا الفرع القلقشندي وابن مماتي وابن دقماق وغيرهم.

٤ ــ فرع الفرما ــ (البيلوزي):

يُعد فرع الفرما من الفروع القديمة، وكان يُسمَّى قديمًا بالفرع البيلوزي نسبةً إلى قرية بالوظة الموجودة حاليًا بشمال سيناء، وكان هذا الفرع قديمًا يُسمَّى «عمود

النيل» لِما له من شهرة عالية وأهمية كبيرة، كما ذكره ابن سيرابيون، وكان هـذا الفرع يمر من الجانب الأيمن للدلتا من أرض مصر، وكان يمر من مدينة تـانيس، وهي مدينة صان الحجر، ومدينة جرجاتم إلى مدينة الفرما الحالية القريبة من مدينة السويس.

٥ ــ فرع أبو صير:

وهي أكبر قرى مركز سمنود الحالي، وكان هذا الفرع يخرج من خليج سروس ويمر بمدينة سرودات، وقد ذكره ابن سيرابيون.

٦ ــ فرع رشيد والبولبتس:

يبدأ هذا الفرع عند مدينة رشيد الحالية، أو هو من الفروع الموجودة إلـى الآن، ثم يمر بمدينة شطانوف .. وقد ذكر هيرودوت هذا الفرع وأهميته، وأنه من الفروع الصناعية .. وكان يُسمَّى قديمًا بالفرع البوايتي، وكان يخرج من الفرع الكـانوني عند كوم حمادة بمحافظة البحيرة، وقد تغيَّر مجرى هذا الفرع عدة مرَّات، وكـان يتفرَّع منه خليج الإسكندرية وبحر أبيار .. وقد ذكر هذا القلقشندي وابـن ممـاتي والإدريسي والفرسدق وغيرهم.

وكان يمر بفيشا سليم وسندبيس وسنباره وفرع صا ونهر شابور الذي يخرج عند قرية أبي محنيس، وكان فرع رشيد ينقسم قديمًا إلى فرعان، وكان بينهما جزيـرة «الراهب»، وكان يلتقيان عند سنديون شمال مدينة فوه، ثم يمر بسميديس .. وذكر علي مبارك أنَّه كان يُسمَّى بالفرع البولبتي .. وكان ذلك في زمن المتوكل على الله العباس ٨٧٠هـ.

٧ ــ فرع دمياط (البوكولي ــ الفاتني):

يتميَّز هذا الفرع والفرع السابق بالتغيُّرات الكثيـرة فـي مجـراة، وقـد ذكـر هيرودوت هذا الفرع بالفرع «البوكولي»، وكان هذا الفرع يخرج من الفرع السنبتي

عند مدينة سمنود، وقد ذكره سترابون أنه هو الفرع الطانتبتي، وقد تغيَّر اسم هـذا الفرع بعد الفتح الإسلامي إلى فرع تينس وفرع دمياط، وقـد ذكـر هـذا الفـرع الخوزمي وابن الحكم وابن سي رابيون، وذكر اليعقوبي أنَّ هذا الفرع يتفرَّع إلـى فرعين: هما فرع دمياط وفرع تنيس، وقد سمَّاه عمر طوسون بقناة فزار، وسـماه القلقشندي باسم بحيرة أبو قير، وسمَّاه ياقوت الحموي ببحيرة أدكو، وكان هذا الفرع يمر شمال مدينة أنتوهي وميت عطار ويمر بقرية صهجرت الكبرى وصـهجرت الصغرى وميت غمر وزفتي وقرية ميت رمسيس، وكان يخرج منـه فـرع يمـر بمدينة طنطا والجعفرية والسنطة وسنباط وشبرا ملس .. وقيل أن هذا الفرع موجود إلى الآن وهو بحر شبين، ثم يلتقي بالفرع الأصلى عند مدينة طلخا، ثم يتجه بعـد ذلك ليصب في البحر الأبيض المتوسط عند مدينة دمياط الحالية.

النيل عند الجغرافيِّين:

لم ينل النيل اهتمام الشعراء وحدهم، بل نال تقدير كل من شاهد عبيـره الخالـد وجماله الرائع، فلم يكن اهتمام الرَّحالة والمؤرخين والجغرافيين أقل مـن اهتمـام الشعراء، فلقد تحدث الجغرافيون عن النيل أمثال «الخوارزمي ـ واليعقوبي ـ ابن الفقية - ابن دستا ـ ابن سيرابيون ـ بن حوقـل - البكـري - والإدريسـي - الدمشقي - ابن فضل العمري» وغيرهم من علماء الجغرافيا.

١ ـ الخوارزمي

هو محمد بن موسى الخوازمي المتوفي عام ٢٢٠ هـ وهو من أشـهر علمـاء الجغرافيا العرب، ومن أهم أعماله كتاب «صورة الأرض» والذي تناول فيه بعض التحاليل لنظريات بطليموس الجغرافية، وقد ذكر في كتابه هـذا تصـوره الـدقيق للأرض بما عليها من جبال وأنهار وبحار، وذكر فيه رؤية بطليموس للنيل وذكـر أنه ينبع من جبل القمر، كما أنه رسم خريطة للنيل، وكانت هذه الخريطـة تُشـابه

الخريطة التي رسمها بطليموس من قبل، كما أنه تحدث في هذا الكتاب عن منــابع النيل وسيره ومصبه، وذكر أهمية النيل الجمالية والاقتصادية لمصر.

٢ ــ اليعقوبى

هو أحد علماء الجغرافيا العرب البارزين، وهو أحمد بن يعقوب ابن جعفر بــن وهل بن واضح الكاتب العباسي، كما أنه من أشهر المؤرخين العرب، وهــو مــن أشهر علماء القرن الثالث الهجري كان يحب السفر والرحلات، وأشهر أعماله كتاب «البلدان»، وقد توفي ٢٨٤هـ ــ ٨٩٧ م، وذكر في كتبه أنَّ نهر النيل ونهر السند نهر واحد.

٣ ــ ابن الفقيه

هو أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الهنداني، توفي في أوخر القرن الثالــث الهجري، وكان أشهر أعماله كتاب «البلدان» لابن الفقيه الذي استعان فيه بيــاقوت الحموي، وأشهر أعماله «المقدس» وقد أيَّد في هذا الكتاب اليعقوبي وغيره أنَّ النيل متصل بنهر السند.

٤ ــ بن رسته

هو أبو علي أحمد بن عمر الفارسي الأصل، أهــم أعمالــه كتــاب «الأعــلاق النفيسة» الذي كتبه عام ٢٩٠ هـ، وقد أكد من سبقوه فيما ذكروا عن النيل إلا أنه قال إن النيل ينبع من جبال الببن، كما أنه ذكر احتفال المصريين بعيد وفاء النيــل وخصوصًا مظاهر التقديس والبذخ والفخامة التي كانت تقام في عهد الفاطميين.

٥ ــ ابن سيرابيون

هو يحيى بن سيرابيون، وقيل أنه يوحنا ابن سى رابيــون، وكــان مــن علمــاء الجغرافيا ــ توفي عام ٢٨٩هـ ــ ٣٣٤ هـ، وكان أشهر أعماله كتاب «عجائــب

الأقاليم السبعة»، وقد ذكر في هذا الكتاب ما ذكره الخوارزمي عن منابع النيل وفروعة السبعة في دلتا مصر، وذكر أن النيل يصب عند الفرما من الناحية الشرقية.

٦ ـ بن حوقل

هو أبو القاسم محمد بن حوقل أحد الرَّحالة والجغرافيين العرب، وقد خرج من بغداد عام ٣٣١هـ في شهر مايو عام ٩٤٣م قاصدًا الدراسة والتجارة، وقد استغرقت هذه الرحلة ثلاثين عامًا يدرس فيها البلاد العربية، وكانت أشهر أعماله كتاب «الجغرافيا العربية»، وكان أول من دعَّم هذه الرسالة في كتابه بالخرائط التوضيحية، إلاَّ أنه ذكر في كتابه هذا أنَّ منابع النيل مازالت مجهولة، كما أنه قد سبق المقريزي والقلقشندي في ذكر مواسم الحصاد في مصر، كما أنه ذكر الجندولين الأول عند أسوان والثاني عند دنقلة، علمًا بأن المسعودي والإدريسيي لم يذكرا منهما إلاَّ واحد وهو الواقع عند جنوب أسوان فقط.

٧ ـ البكري

هو عبد الله بن عبد العزيز البكري، وكان أول الجغرافيين المسلمين في بلاد المغرب، وقد كان أشهر علماء الجغرافيا في قرطبة، وقد تُوفي عام ٤٨٧هـ ـ ١٠٩٤ م، وأشهر أعماله في الجغرافيا كتابه «المالك والممالك»، وقد تحدث فيه عن ارتباط نهر النيل ببلاد النيجر.

٨ ـ الإدريسيي

هو عبد الله محمد الإدريسيي، وهو أشهر علماء الجغرافيا وأشهر رسامي الخرائط، وقد أخذ العلماء عنه الكثير والكثير خصوصًا ما كان عن العصور الوسطى .. وقد وُلد الإدريسيي بمدينة سبته عام ٤٩٣هـ ـ ١١٠٠ م، وتوفي عام

٥٦٠هـ ــ ١١٦٦ م .. تلقَّى تعليمه بمدينة قرطبة والأندلس ..وقد زار العديد من مدن العالم، وكان من المقربين إلى الملك نورماندي ملك صقلية.

وقد اهتم الإدريسي بوصف الكرة الأرضية، وقد أقام لها مُجسمًا مصنوعًا من الفضة ورسم عليها الأقاليم، وكانت أشهر أعماله كتابة الشهير «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»، وقد نال هذا الكتاب تقدير كبيرًا في بلاد الغرب، وقد أعيد طبعة مرَّات ومرَّات عديدة، أهمها كان عام ١٩٥٢ م وقد ذكر فيه المد والجزر .. وذكر فيه دراسته للنيل لِما له من مكانة عنده، وقد ربط في هذه الدراسة بين نهر النيل وبلاد النيجر، وقد اهتم الإدريسيى بمنابع النيل وفروعه ومصبه.

٩ ــ الدمشقي

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أبي طالب الأنصاري الدمشقي الصوفي المعروف بشيخ الربوة، وأهم أعماله في الجغرافيا كتابه الشهير «نخبة الدهر في عجائب البر والبحر»، وهذا الكتاب سبعة أبواب جمع فيها بين علم الجغرافيا وعلم التاريخ، وذكر في هذا الكتاب أنَّ النيل ينبع من الجنة الأرضية، أي الموجودة في الأرض، وقد ذكر في هذا الكتاب أنَّ سبب نقص الخراج هو عدم اهتمام ولاة الأمور بالنيل، وذكر في هذا الكتاب أهمية النيل الاقتصادية.

١٠ ــ ابن فضل

هو ابن فضل العمري ٧٠٠ ــ ٧٤٩ هـ، وهو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد الكرماني الشافعي العمري المعروف بن فضل الله، وهو من دمشق .. ويذكر ابن شاكر الكتبي أن نسب ابن فضل يرجع إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد تربى في قصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وكان يعمل كاتب سر الديار المصرية، ثم عمل كاتب سر الديار الدمشقية .. وكانت أهم أعماله كتابه الشهير «مالك الأبصار في ممالك الأمصار»، وقد كتبه عام ٧٤٣

هـ، وقد خصَّ في هذا الكتاب فصلاً عن النيل تحدث فيه عن منابع النيل وأول الرَّحالة الذين وصلوا إلى هذه المنابع، وذكر قصصهم، وذكر في هذا الكتاب أنَّ النيل يخرج من البحيرة الشرقية، وربط بينه وبين نهر غانة ونيل السودان ونيل الزنوج وهو المعروف بـ«نهر النيجر».

النيل والرَّحالة:

كانت حياتهم هدفها الأول هو البحث عن الجديد من أجل أن تسعد به أنفسهم وأن يسعد به الآخرون، فلقد تركوا هؤلاء الأهل والأوطان من أجل الأسفار والسياحة والمغامرات، وقد وجدوا كنوزًا غالية أسعدتهم أكثر ممَّا تركوه في بلادهم، وكانت بلاد المغرب هي أكثر البلاد التي خرج منها الرَّحالة أمثال ابن سليم الأسواني والبغدادي وابن بطوطة وغيرهم .. وهذا جانب من حياة بعض الرَّحالة الذين اهتموا في رحلاتهم بالنيل وأحواله.

١ ــ الأسواني

هو عبد الله بن سليم الأسواني، كانت أهم أعماله كتُبه «أخبار النوبة»، و«المقرة» و«علوة البهجة والنيل»، وقد تحدث في هذا الكتاب عن النيل ووصف عادات أهل النيل والشعوب التي تعيش على جانبي النيل.

وقد وصف في هذا الكتاب منطقة أسوان إلى النيل الأزرق، وذكر فروع النيل السبعة، وذكر ستة منها تأتي من الشرق، والسابع يأتي من الغرب .. وتحدث في رحلته عن الطيور والحيوانات التي تعيش على النيل، وكذلك النباتات .. كما أن جوهر الصقلي قد كلَّفه برحلة إلى الملك چورچ ملك النوبة عام ٣٥٨هـ ــ ٣٥٩ هـ - ٩٦٠ م ليدعوه إلى الدخول في الإسلام، ولقد أقام ملك النوبة مناظره بينه وبين أساقفة النوبة، ولقد طالت هذه المناظرة وصعبت عليه، إلاَّ أن الأمر انتهى إلى أنَّ ملك النوبة دخل في الإسلام، وأوجل ملك النوبة الشكر على نفسه للأسواني لِما

كان له من فضل عليه في دخوله الإسلام، وقد جمع الأسواني هذه الرحلة في كتابه «أخبار النوبة».

٢ ــ ابن جبير

هو محمد بن أحمد بن جبير، وُلد بمدينة بانسبة عام ٥٤٠هـ ــ ١١٤٥ م، درس العديد من العلوم الفقهية وعلوم الحديث، وقام بالعديد من الرحلات إلى العديد من البلاد، وكانت أكثر رحلاته في بلاد الشرق الذي سجل من خلالها كل ما صادفة في حياته اليومية، وقد سجل من خلال رحلته لمصر كل شيء عن النيل وزيادته ونقصانه وفيضانه، ثم أقام بمدينة الإسكندرية حتى توفي عام ٦١٤هـ ــ ١٢١٧ م

٣ ــ البغدادي

هو مُوفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادي، ولد ببغداد عام ٥٥٧ هـ ــ ١١٦٢ م، كان من أبرز الرَّحالة في عصره .. قام بالعديد من الرحلات إلى بلاد العراق والشام ومصر، وعمل بالتدريس بالجامع الأزهر، وعاش بمصر حتى عام ٦٠٢ هـ ــ ١٢٠٥ هـ، ثم رحل إلى بغداد عن طريق بيت المقدس .. توفي ببغداد عام ٦٢٩ هـ ١٢٣٢٠ م، وكانت أهم أعماله كتابه «الإفادة»، وقد تحدث فيه عن فضل وقيمة النيل والمجاعة التي تحدث بسبب نقضانه.

٤ ــ بن بطوطة

هو محمد بن عبد الله اللوائى الطنجى أشهر الرَّحالة العرب على الإطلاق وأكثرهم نشاطًا .. كان طوافًا بالبلاد، وُلد في ١٤ رجب عام ٧٠٣ هـ بمدينة طنجة ٢٤ فبراير عام ١٣٠٤ م، بدأ رحلاته بحج بيت الله الحرام عام ٧٢٥هـ ــ ١٣٢٥ م، زار خلال هذه الرحلة بلاد الحجاز ومراكش والشام والنيجر وغيرها من البلاد، وكانت أشهر أعماله كتابه «تحفة الأنظار»، وذكر فيه وصف النيل وأن به

أكثر من ٣٦٠٠ مركب، وتحدث عن العقائد الخاطئة في الاحتفالات بالنيل، وكانت آخر رحلاته عام ٧٥٣ هـ ـ ٧٥٤ هـ .

٥ ـ قدامة بن جعفر

نُفي أبو الفرج الكاتب البغدادى على يد الخليفة المسكتفي بالله عام ٢٨٩ هـ ـ ٢٩٥ هـ = ٩٠٢ ـ ٩٠٦ م، وعاش في الديوان البغدادي وتولى الحسابات الداخلية لديوان الخليفة تحت قيادة الوزير أبي الحسن بن الفرات، أخذ أعماله عن ابن الجوزية، وأخذ عنه ياقوت الحموي العديد من المراجع التي استعان بها في أعماله، وكانت أشهر أعمال بن قدامة في علم البلاغة والحساب والخراج وصناعة الكتابة، وتحدث في العديد من أعماله عن أحوال النيل من حيث المنابع والمصبَّات والاتساع والفروع وغيرها من أحوال النيل.

٦ ـ القاضي الفاضل

هو أبو علي عبد الرحمن بن الحسن اللخمي البيساني العقلاني وزير صلاح الدين، ولد عام ٥٢٩ هـ ١١٣٥ م بعسقلان، وقد استعان به صلاح الدين في شئون الجيش والضرائب والعديد من أمور إدارة البلاد، وكانت أهم أعماله كتاب «اليوميات والمتجددات»، وهو عبارة عن مذكرات شخصية تحدث فيها عن رحلات حول النيل، وقد استعان به المقريزي عن أحوال مصر في عهد صلاح الدين.

٧ ـ ابن مماتي

هو أبو المكارم سعد بن مهذب ابن أبى مليح مماتى ولد نصارانيّا بأسيوط واسلم على يد القائد شيركوه، وتولى ديوان الجيش في عهد صلاح الدين ولكن الظروف جعلته يهرب إلى سوريا في عهد الملك العادل بعد صلاح الدين، وظلّ بها حتى عام ٦٠٦ هـ ـ ١٢٠٩م، وكانت أهم أعماله كتابه الشهير «قوانين ابن ممات»، وقد

ذكر في هذا الكتاب أحوال مصر في القرن السادس الهجري، وهو أكبر موسوعة في أحوال الزراعة والنيل وفروعه وخلجانه وترعه وأسماء الفروع، بالإضافة إلى جانب من التقويم الفلكي والسنة القمرية والشمسية.

٨ ـ النابلسي

هو عثمان النابلسي الصفدي الشافعي، وُلد في وسط القرن السابع الهجري، كانت أهم أعماله كتابه الخالد «تاريخ الفيوم وبلاده»، وقد أعد هذا الكتاب بأمر من الملك الصالح عام ٦٤١ هـ تحدَّث فيه عن النيل وبحر يوسف بالفيوم وكيف حفر هذا البحر.

٩ ـ ابن الجيعان

هو الإمام مشرف الدين يحيى بن المقر بن الجيعان، تولّى قيادة الجيش عام ٨٨٥ هـ، وكانت أهم أعماله كتابه «التحفة السنية»، تحدث فيه عن أقاليم مصر ومساحتها ونيلها وكان ذلك في عام ٨٨٥ هـ.

١٠ ـ الغزولي

هو علاء الدين علي بن عبد الله البهائي الغزولي، ولد بدمشق وتوفي عام ٨١٥ هـ، وكانت أهم أعماله كتابه الشهير «مطالع البدور في منازل السرور»، تناول فيه وصف قصر الملك ونظامه ووصف النيل ومحاولة الملك نجم الدين أيوب كشف منابع النيل.

١١ ـ القلقشندي

هو أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله .. ولد عام ٧٥٦ هـ، عمل بالأدب، وكانت أهم أعماله «صبح الأعشى»، تحدث فيه عن النيل بتوسُّع.

النيل والمؤرخـــون:

لقد كان للمؤرخين النصيب الأكبر في الحديث عن هذا النهر العظيم، فقد سجلوا ودونوا كل شيء عن هذا النيل أمثال ابن عبد الحكـــم والمســـعودي وابـــن زولاق والقضاء والقزويني والمقريزي وابن تغري بردي، والسخاوي والسيوطي والقاضي معروف وابن أبي السرور..

١ ــ ابن عبد الحكم " ١٨٧ ــ ٢٥٧ هـــ.

هو عبد الله بن عبد الحكم، وهو من أشهر المؤرخين المصريين خصوصًا فـــي التاريخ الإسلامى، وكان أشهر أعماله كتابه «فتوح مصر والأخبار»، ويُعـــد هـــذا الكتاب أكبر وأضخم الوثائق التاريخية عند كبار رجال التاريخ المعاصرين، وقـــد تحدَّث فيه عن أهم الأحداث التاريخية في مصر وشمال أفريقيا وبلاد الأندلس.

وقد ذكر بن عبد الحكم في كتابه هذا أنَّ النيل ينبع من الجنة، وذكر الأحاديـــث النبوية التي وردت عن النيل، وكان أول المؤرخين الذين ذكروا قصة عروس النيل ومنع سيدنا عمر بن الخطاب لهذه العادة، وأصبح ابن عبد الحكم هو الفصل بـــين المؤيدين والمعارضين في هذا الموضوع، كما أن ابن عبد الحكم ذكر فروع النيـــل وخلجانه وفروعه ومقاييسه، وذكر الأسس الأولى التي قام عليها الخراج في مصر لأول مرة.

٢ ــ المسعودي

هو أشهر المؤرخين العرب، وهو ممَّن شُهد لهم بالصدق والأمانة والاعتـــدال، ولذلك أطلق عليه «هيرودوت العرب»، وهو أبو الحسن بن الحســـن المســـعودي الشافعي، وهو من ولد سيدنا عبد الله بن مسعود، وقد أطلق عليه ابن خلكان لقـــب «إمام المؤرخين»، وقد أخذ عنه المؤرخون الكثير والكثير وذلك لصـــدقه واتســـاع علمه .. وقد وُلد المسعودي ببغداد ثم رحل إلى بلاد الشام والعراق ومصـــر وزار

العديد من البلاد ووصل إلى بلاد الهند وبحر الصين وبحر قزوين، وقد أقام بمصر عام ٣٣٦ هـ ـ ٣٤٥ هـ ـ ٩٤٧ ـ ٩٥٦م، وكانت أهم أعماله كتاب «ذخائر العلوم وما كان في سلف الدهور»، وكتاب «الرسائل»، وكتاب «الاستذكار لما في سالف الأعصار»، وكتاب في «مروج الذهب» وكتاب «التنبيه والإشراف»، وكتاب «معادن وجواهر» .. وكان المسعودي أول من ربط بين النيل وأنهار الشرق، وذكر أنه يخرج إلى بحر الزنج، وقد تناول موضوع الفيضان وأثره على مصر بالإضافة إلى حديثه عن مقايس النيل .. ويقول المسعودي عن النيل: «رأيت النيل ينبع من اثني عشرة عيناً»..

٣ ـ ابن زولاق

هو أبو محمد الحسن بن زولاق، وُلد بالفسطاط بمصر عام ٣٠٦هـ ـ ٩١٨ م، وتوفي عام ٣٨٧هـ ـ ٩٩٧م بعد أن أدرك الدولة الفاطمية .. ومن أشهر أعماله كتاب «فضائل مصر»، وقد استعان بهذا الكتاب الكثير من المؤرخين وعلى رأسهم ياقوت الحموي، وكانت من أشهر أعماله «سيرة المعز لدين الله» و«سيرة الأخشيد» و«تحفة أمراء مصر»، وقيل أنّ هذا الكتاب ذيل لكتاب الكندي عن ولاة مصر وحكامها، وقد تحدث فيه عن فتح مصر وأخبارها في زمن عمرو بن العاص حتى أحمد بن طولون، وقد ذكر فيه التنبؤات بفيضان النيل واحتفال الفاطميّين بأعياد النيل.

٤ ـ القضاعي

هو القاضي أبو عبد الرحمن محمد بن سلامة القضاعي، الفقية الشافعي، تولى قضاء مصر في خلافة الخليفة المنتصر بالله، وكانت من أهم أعماله «المختار في ذكر الخطط والآثار»، وقد اهتم في هذا الكتاب بالنيل وخصوصًا مواسم فيضانه ومقاييسه والخراج .. وقد تناول أحوال نيل مصر باهتمام بالغ يفوق الحد.

٥ ــ القزويني

هو زكريا بن محمد القزويني ولد في مدينة قزوين بالعراق، وزار بلاد عديـــدة منها بلاد الشام وفارس، وتولى القضاء في العديد من المدن، وكانت أهـــم أعمالـــه كتاب «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات»، وكان أول من ذكره أنَّ الســـبب في فيضان النيل بعض المخلوقات ووقوفها كالسد أمام النيل فيـــزداد مـــاء النيـــل ويفيض.

٦ ــ ابن دقماق

هو صارم الدين إبراهيم بن محمد المصري، ولد بالقاهرة عام ٧٥٠هـــ، وتوفي عام ٨٠٩هـــ الموافق ١٣٤٩م ــ ١٣٤٠٦م وكانت أشـــهر أعمالـــه «الانتصـــار لواسطة عقد الأمصار»، وقد وصف في هذا الكتاب مدن مصر، وكان هذا الوصف وصفًا دقيقًا، كما أنه تحدث بأعياد النيل وخلجانه ونظم الاحتفـــال بأعيـــاد النيـــل خصوصًا عيد وفاء النيل وسحر الدفء في هذه الأيام.

٧ ــ المقريزي

هو تقي الدين المقريزي أشهر المؤرخين المصريين العرب، لُقب بزعيم المدرسة التاريخية، ازدهرت أعماله خلال القرن التاسع الهجـــري، ولقـــد ولـــد المقريـــزي بالقاهرة عام ٧٦٦ هـــ ــ ١٣٦٤م وتوفي عام ٨٤٥ هـــ ــ ١٤٤٢م، وكان خطيب مسجد عمرو بن العاص، ثم تولى بعد ذلك وظائف عديدة منها الحســـبة، وكانـــت أشهر أعماله كتاب «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»، ويقع هذا الكتاب في سبعة أجزاء، وقد تحدث فيه عن أثر النيل بالنسبة لمصر من الناحيـــة الاقتصـــادية والسياحية والاجتماعية، وتحدث عن الزراعة في مصر ونظـــام الخـــراج، وذكـــر المقاييس والفيضان والاحتفال بأعياد النيل عند الفاطميين، ووصف مجرى النيل في

مصر والسودان .. ولقد جمع هذه الموضوعات في كتاب آخر سمَّاه «إغاثة الأمة»، ذكر أنَّ النيل هو كل شيء في مصر.

٨ ــ ابن تغري بردي

هو جمال الدين أبو المحاسن يوسف، وُلد عام ٨١٢ هــ ــ ٨٧٤ هــ بالقاهرة، وكانت أهم أعماله كتابه «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة»، بدأ فيه بفتح مصر عام ٢٠ هــ ــ ٦٤٠ م، وقد تناول في هذا الكتاب تاريخ مصر حتى عام ٨٧٢هــ ــ ١٤٦٧ م، وقد ذكر فيه سلاطينها وأهم الأحداث التاريخية التي جرت على هذه الأرض .. ولقد كان لنيل مصر الاهتمام الكبير على صفحات هذا الكتاب، خصوصًا المقاييس والفيضان والأعياد وغيرها من أحوال النيل.

٩ ــ السخاوي

هو شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ولد عام ٨٣١ هــ ــ ١٤٢٧ م وتوفي بالمدينة المنورة عام ٩٠٢ هــ ــ ١٤٩٧ م، ولقد قام بالعديد من الرحلات إلى بلاد الشام، وكانت أهم أعماله كتاب «الضوء اللامع لأبناء القرن التاسع»، وكتاب «التبر المسبوك في ذيل الملوك»، وبدأ في هذا الكتاب بأحداث عام ٨٤٥ هــ إلى أحداث عام ٨٥٧ هــ، وذكر في هذا الكتاب أعياد النيل ومظاهر الاحتفال بها.

١٠ ــ السيوطي

هو عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد السيوطي، ولد عام ٨٤٩ هــ بالقاهرة وتوفي عام ٩١١ هــ، وكان أشهر علماء الأدب والتاريخ في عصره .. ألَّف عشرات الكتب، وكانت من بين أعماله «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة»، وتحدث في هذا الكتاب عن أحداث مصر، وذكر في هذا الكتاب جانب كبير من صحابة رسول الله، بالإضافة إلى أنه جمع في هذا الكتاب العديد من آراء

الكندي وابن زلاق والقضاعي وبن يونس وابن المتوج وابن فضل العمري والمقريزي وغيرهم ممَّن اهتموا بدراسة أحوال النيل وتاريخ مصر، وكانت أهم أعماله كتابه الشهير «كوكب الروضة».

١١ ـ قاضى المنزلة.

يُعد القاضى معروف من أشهر علماء التاريخ في القرن العاشر الهجري، وقد اهتم بتدوين التاريخ، فكانت من بين أعماله كتاب «عجائب الأخبار عن مصر الأمصار»، وهو عبارة عن عشرة أقسام، وذكر في هذا الكتاب أحوال مصر ومساحتها وتاريخها وأيام الفتح الإسلامى وملوكها وحكامها ومن دخلها من الأنبياء، وكان الباب الثامن من هذا الكتاب يتحدث فيه عن النيل وأعياده وصفاته وزيادته ونقصانه وقناطره وخلجانه والحيوانات التي تعيش على جانبي النيل ونظم الري في مصر.

١٢ ـ ابن أبي السرور.

هو شمس الدين محمد بن أبي السرور البكري، ولد عام ١٠٠٥ هـ ـ ١٥٩٦ م، وتوفي عام ١٠٦٠ هـ ـ ١٦٥٠ م، وكانت أهم أعماله «الكواكب السائرة في أخبار مصر والقاهرة»، وقد ذكر في هذا الكتاب مقادير الخراج واحتفال العثمانيين بأعياد النيل، وذكر فيه الأنبياء وصحابة رسول الله الذين عاشوا بمصر، وكانت من بين أعماله كتاب «قطف الأزهار»، ذكر فيه مواعظ المقريزي في ٣٤ باب عن مصر ونيلها وأعياد الأقباط والخلفاء الفاطميين وأعيادهم المختلفة.

كشوف النيل:

لقد ظلَّ هذا النهر الخالد محل جذب أنظار كل من شاهده و كل من سمع عنه، لأنه النهر الخالد، وقالوا عنه إنه «نهر سماوي»، لأنه ينبع من الجنة، وقد زاد الفراعنة من اهتمامهم بالنيل إلى أنهم قدسوه وجعلوا له إله هو الإله «حابي»،

وجعلوا له الأعياد خصوصًا في مواسم الفيضان، ومازالت بعض هذه الأعياد يحتفل به إلى اليوم، وإن كانت مظاهر هذه الاحتفالات قد تغير من صورة إلى صورة أخرى، كما تبدّلت على يد سيدنا عمرو بن العاص وهو المعروف بـ«عروسة النيل»، ولقد سجل المفكرون والشعراء والجغرافيون والمؤرخون والرَّحالة أعمالاً خالدة عن هذا النهر العظيم، فقد كتبوا الكثير والكثير وسجلوا أعمالاً نستمد منها دراستنا إلى اليوم، وكانت أشهر هذه الأعمال هي ما قام به العالم الشهير بطليموس، وقد ذكر الكثيرون منهم أنه لم يستطع أحد أن يصل إلى منابع النيل الحقيقية لأنه نهر سماوي ينبع من الجنة كما ذكرنا من قبل .. ولم تهدأ عمليات البحث لكشف أسرار النيل إلى اليوم، فقد بعث الملوك والأمراء والسلاطين والحكام وهذا جانب من محاولات كشوف أسرار النيل.

١ ـ الكشوف العربية:

ذكرت العديد من أمهات الكتب العربية والأجنبية أن «ناصر خسرو» أحد الرَّحالة الفارسيين أنَّ أحد ملوك مصر وهو الملك «الصالح نجم الدين أيوب» أنه حاول جلب أطفال زنوج صغار ربَّاهم على أكل السمك فقط بعد أن دربهم على ركوب البحر على يد كبار الصيادين والبحارين وأرسلهم في بعثه لكشف منابع النيل، ولكن هذه الرحلة لم تتم بسبب هجوم الصليبيين على مصر والتي قضت على الدولة الأيوبية في مصر .. ويذكر أحد الرَّحالة أنَّ جوهر الصقلي كلَّف أحد العلماء عام ٨١٥ هـ ـ ١٤١٢ م، وهو عبد الله بن أحمد الأسواني، بالذهاب لكشف منابع النيل ببلاد النوبة، فقام بهذه الرحلة إلى أن وصل إلى النيل الأبيض والنيل الأزرق .. ويذكر العمري أنَّ قاضي القضاة شرف الدين أبو الروح عيسى أنه أول مسلم يصل إلى منابع النيل.

ويذكر أنه وصل إلى قبة هرمس، وهي أحد القباب المبنية هناك، وزعمـوا أن هرمس الهرامسة المسمَّى بمثلث الحكمة، ويقول بعض الرَّحالة عن هـرمس انـه سيدنا إدريس عليه السلام، وأن نهر النيل ينبع من هذا المكان عند بحر محجاما ماؤه أسود، ولكن النيل يشقة بمائه الأبيض .. وذكر بعض الرَّحالة أنه كلما صعد أحد فوق هذا الجبل صفَّق بيده ثم ألقى بنفسه من فوق هذا الجبل في الجانب الآخر فيعود الباقين خوفًا على أنفسهم، ويقال أن أحد ملوك مصر قد غطَّى قمم هذه الجبال بالنحـاس، فكلما طلعت الشمس عليها عكس هذا النحاس أشعة الشمس فتحرق هؤلاء .. وقيل أنَّ هذه الجبال لامعة مثل البلور فترهب كل من يراها، وقيل أنها من ذهـب، وأنَّ هذه الأرض يكثر فيها الفضة فينبع الماء من فوقها وهي تتلألأ من فوق قمم الجبال العالية..

إلاَّ أنَّ ياقوت الحموي وبعض المؤرخين ذكروا أنَّ هذه الحكايات أقـرب إلـى الخيال والخرافات منها إلى الحقيقة المؤكدة، وقالوا إن هذه القصص كانت من زمن قبل زمن طوفان سيدنا نوح عليه السلام، ولقد لخَّص المقريزي كشوف النيل فـي أربعـة أمور هي:

١ ـ إن نهر النيل ينبع من الجنة أو من سدرة المنتهى.

٢ ـ وذكر أنَّ البعض قالوا إن منابع نهر النيل غير معروفة لأنه ينبع من الجنة من خلف أحد الجبال.

٣ ـ وذكر ابن الفقية أنَّ أحد الرَّحالة وهو أبو خطاب قال: وجد بين النيـل وبـين البحر الأجاج كثيب من الرمال والنيل يخرج من هذه الكثبان.

٤ ـ وقد أكد المؤرخون وبعض الجغرافيين أنَّ النيل ينبع من خلف جبـال القمـر جنوب خط الاستواء، وأكد ذلك العالم اليوناني الشهير بطليموس، وكان أول من أخذ بهذا الكلام من العرب هو الخوارزمي، وكان أول من وصل إلى منابع النيل مـن

المسلمين هو ابن سليم، وذكر المسعودي أنَّ النيل ينبع من خلف جبل القمر جنوب خط الاستواء، وذكر أن في هذا المكان يستوي الليل والنهار، وأن القمر يبدأ رحلته من فوق هذا الجبل، وذكر أن لولا الليمون الذي يزرع بأرض مصر لوضم أهل مصر من حلاوة ماء النيل، وذكر أن حموضة الليمون عندما تختلط بماء النيل تمنع الإصابة بمرض الصفراء، وقد أكد ذلك الكندي في أعماله التي تحدَّث فيها عن نهر النيل، وقد أكد ذلك بحديث رسول الله ﷺ الذي رواه سيدنا أبو هريرة والذي قال فيه: قال رسول الله: «إن النيل يخرج من الجنة، ولو التمستم فيه حين يموج لوجدتم فيه ورقها» صدق رسول الله ﷺ، وذكر الليث بن سعدان حامد الدين أبو سالم من ولد العيص ابن سيدنا إسحق بن سيدنا إبراهيم عليهما السلام خرج هاربًا من أحد الملوك الجبابرة، فسار حتى وصل إلى مصر، ولمَّا رأى نهر النيل أقسم أن يسير حتى يبلغ منتهاه، واستغرقت هذه الرحلة ثلاثين عامًا، وقد حكى أنه وجد هناك رجل قائم يُصلي تحت شجرة تفاح، فسلم عليه فاستأنس، فلما انتهى هذا الرجل من صلاته سأله من أنت؟ فقال له: أنا من ولد العيص، ثم سأل الرجل فقال له من أنت؟ فقال الرجل: أنا أبو العباس الخضر، فسأل الخضر أبو حامد: لماذا جئت إلى هنا؟ فقال: جئت أتتبع منابع هذا النهر، فقال الخضر لأبو حامد: اذهب إلى مكان كذا وتجد هناك أرض من ذهب وستجد قبة لها أربعة أبواب، فانظر إليها ستجد النيل ينحدر منها، وقال، إلاَّ واحد من هذه الأنهار التي تتخرَّج من القبة، واحد يجري إلى جهة من الأرض والثلاثة يجرون في الجانب الآخر .. ويقول أبو حامد: فصرت حتى وصلت إلى هناك، وشربت من منبع النيل حتى وجدت ماؤه أحلى من العسل أبيض من اللبن أبرد من الثلج.

إلاَّ أنَّ المؤرخون ذكروا أن بطليموس هو الذي سمَّى هذا الجبل بجبل القمر، لأنه يرتفع حتى يكاد يصل إلى القمر .. وقيل لأن النهر يزيد عندما يبغى ضوء

القمر، وذكر بعض الرَّحالة أنَّ نهر السند ونهر الهند ونهر النيل هما نهـــر واحـــد، واستدلوا على ذلك بأن نوع التماسيح التي تعيش بهما من نوع واحد، وكانت هـــذه من الكشوف العربية القديمة، إلاَّ أنَّ الكشوف الحديثة تؤكد أنَّ نهر النيل ليس له أي صلة بهذه الأنهار.

كشوف الإسكندر الأكبر:

حاول الاسكندر الأكبر كشف منابع النيل مثل غيره ممن أبهرهم جمـــال وســـحر النيل، فخرج بنفسه على رأس مجموعة من رجاله، ولمَّا وصل إلى مدينة «دهش» وجد أنَّ النيل يصول به عدَّة تماسيح، ولمَّا خرجوا لاستكمال كشوفهم ضلوا الطريق حتى وصلوا إلى نهر السند فوجدوا به هذه الأنواع من التماسيح فاعتقدوا أنَّ نهـــر النيل يتصل بنهر السند، وكان ذلك عام ٣٢٦ قبل الميلاد، وتأكدت هـــذه العقيـــدة الخاطئة بعد ما وصلوا إلى نهر «هداريس» ونهر «جليوم» ببلاد السند، وزعموا أنَّ منابع النيل مجهولة ولا يمكن الوصول اليها.

الكشوف الفارسية:

لم يكن الفارسيون أقل من غيرهم، فلقد حاولوا كشف منابع النيل .. فلقد حـــاول أحد الملوك الفرس عام ٣٥٨ ــ ٣٣٧ قبل الميلاد التعرف على منابع النيل، وكانت أول محاولاته هي تجفيف نهر السند ليُؤدب العصاه المصريين زعمًا منه بأنَّ نهر النيل يتصل بنهر السند، وأن جفافه يؤثر عليه وعلى أهل مصر، فوجد أنه لا علاقة بين هذين النهرين، فعاد إلى مصر وأدرك أنَّ هذه المحاولة قد فشلت .. وقد ذكـــر الجاحظ هذه المحاولة في كتبه التي تحدث فيها عن نهر النيل.

الكشوف الليبية:

خرج خمسة من الشباب الليبي من مدينة سيرتس جنوب مدينة برقـــة لكشـــف منابع النيل إلاَّ أنهم ضلوا الطريق ودخلوا الصحراء حتى وصلوا إلى نهر النيجـــر

عن طريق فزان، إلاَّ أنَّ الأمر قد انتهى بهم أنهم أُخذوا أسرى على من سكان هذه المنطقة من السود.

كشوف قمبيز:

يذكر هيرودوت أنَّ قمبيز أحد الملوك الفرس تقدم في رحلته عام ٢٥ قبل الميلاد إلى الجنوب بهدف التعرف على منابع النيل، وسار حتى وصل إلى جزيرة «مروى» بالقرب من الحبشة، إلاَّ أنه وجد عدة مصاعب في هذه الرحلة فعاد، ويذكر أنه لم يتعدَّ الجندول الثاني.

الكشوف الرومانية:

ذكر هيرودوت أنَّ رجلان من الحرس الرومانى قاموا برحلة عام ٦٠ قبل الميلاد بأمر من الإمبراطور نيرو في رحلة لكشف منابع النيل، إلاَّ أنَّ هذه الرحلة كانت غير ناجحة، إلاَّ أنَّ الإمبراطور نيرو حاول كشف منابع النيل مرة اخرى فأرسل مائة رجل من رجال الحرس لهذه المهمة إلاَّ أنَّ هذه المجموعة وصلت إلى منطقة المستنقعات ذات الأعشاب الغزيرة، وهذه المنطقة من المعروف أنَّ أهلها يجهلون معرفتها فكيف يمرون بها .. وقد ذكر أنهم لم يتعدُّوا بحر الغزال، وقيل بلاد الحبشة.

الكشوف اليونانية:

ذكر بطليموس أنَّ أحد المؤرخين هو «مارينوس الصوري» قد ذكر في أحد أعماله أنَّ أحد التجار اليونانيون وهو «ديوجينه» أنه كان يسير في الساحل الأفريقي في بلاد «زنجبار» فخرج إلى أن وصل إلى جبال الثلج وبحيرة ڤيكتوريا وبحيرة ألبرت، وأن رحلته لم تتعدَّ هذه الأماكن.

الكشوف الأسبانية والإيطالية:

كانت محاولة الأسبان كشف منابع النيل في بداية القرن الخامس عشر .. وقد قام بهذه الكشوف اثنان من الرَّحالة الأسبان هم «بيرو ــ تافور»..

وقد بدءوا طريقهم بجبال إيطاليا ثم أرض سيناء، وخلال هذه الرحلة كان لقاؤهم بالرَّحالة الإيطاليون بقيادة الرَّحالة «نقولادي»، وتذكر كتب التاريخ أنهم كانوا في هذه الرحلة كان لقاؤهم بالرَّحالة الإيطاليون بقيادة الرَّحالة «نقولادي» وتذكر كتُب التاريخ أنهم كانوا في هذه الرحلة يعيشون على السمك بدون طهي، وذكروا أنَّ هذه الرحلة لم تتعدَّ جبال القمر ثم عادوا بعدها بعدما تأكد لهم فشل هذه الرحلة.

مقاييس النيل:

يُعد مقياس النيل عند القدماء المصريين أكثر أهمية من الخزانة العامة في هذه الأيام، وذلك لأن مقياس النيل كان السبيل الأول للرَّواج الاقتصادي - وخصوصًا الزراعي والصناعي - كما أنَّ الضرائب والخراج كانت لا تتحدَّد إلاَّ بناءً على مقياس النيل وفيضاناته، ومن هذا نستنتج أنَّ هذه الضرائب وما يُقدَّر من الخراج كان يختلف من عام إلى آخر، وذلك حسب زيادة ونقصان مياه فيضان هذا النهر العظيم، وقد اختلفت هذه المقياس من عصر إلى آخر من حيث أسلوب المقياس ومكانه، وهذا ما يدل على الاهتمام بمقياس النيل خصوصًا في العصور الآتية:

١ ــ في عهد سيدنا يوسف عليه السلام

يذكر ابن عبد الحكم أنَّ العرب عندما فتحوا مصر وجدوا بها عدة مقايس للنيل مختلفة، كان أهمها مقياس مدينة منف، وقد استدل الباحثون على أنَّ هذا المقياس يرجع إلى عهد سيدنا يوسف الصديق عليه السلام .. كما ذكروا أنَّ هذا المنسوب يُعد أقدم المناسيب التي أقيمت للنيل، كما ذكروا أن «دلوكة» قد أقامت في عهدها مقياسين للنيل: الأول عند مدينة أثينا .. والثاني: عند مدينة أخميم.

٢ ــ في عهد الروماني

يذكر ياقوت الحموي في كتابه «عجائب البلدان» أنَّ الرومان كانوا أكثر من غيرهم اهتمامًا بمقياس النيل، وكان أهم هذه المقياس التي أقيمت في عهدهم عند حصن بابليون بالإضافة إلى العديد من مقياس النيل الأخرى التي أقاموها عبر امتداد هذا النهر الخالد، وظلَّ بعض هذه المقايس يُعمل به مدة طويلة خصوصًا مقياس مدينة الفسطاط الذي ظلَّ العمل به حتى عام ٢٣١ هـ ــ ٨٤٦ م.

٣ ــ في عهد الدولة الاسلامية.

عندما فتح عمرو بن العاص مصر عام ٢٠ هـ كان النيل في أول اهتماماته، فقد أقام للنيل عدَّة مقايس أهمها مقياس مدينة أسوان، ومقياس دندرة، ومقياس مدينة حلوان، وآخر بمدينة أثينا .. كما اهتم بالمقايس القديمة، فقد قام بترميمها وأصلح ما بها من عيوب، وقد اهتم بهذه المقايس معاوية من بعده .. هذا ما ذكره أصحاب كتُب التاريخ مثل ياقوت الحموي والمقريزي والقلقشندي وغيرهم.

٤ ــ في عهد عبد العزيز مروان

تذكر كتب التاريخ أنَّ أكبر مقايس النيل وأهمها قد أُقيم في عهد عبد العزيز بن مروان، وكان أهم هذه المقايس مقياس مدينة حلوان لأنها كانت مقر خلافته على مصر، وكان ذلك ما بين عامي ٦٥ ــ ٨٦ هـ = ٦٨٥ ــ ٧٠٥ م، كما أن أسامة ابن زيد التتوضي قد أكمل من بعده إقامة مقايس النيل، وكان أهم هذه المقايس التي أقامها مقياس الروضة الذي ظلَّ يعمل إلى زمن قريب، ولم يكن اهتمام سليمان بن عبد الملك أقل ممَّن سبقوه في الاهتمام بالنيل وإقامة المناسيب على جسوره.

٥ ــ في عهد العباسيين

كان المأمون العباسي مثل غيره من الخلفاء العباسيِّين الذين اهتموا بمقياس النيل، فقد أقام المأمون عدة مقايس عام ٢١٧ هـ ــ ٧٣٢م، كما أنَّ المتوكل على الله لم

يكن أقل من غيره في تجديد وترميم وإصلاح وإنشاء مقاييس النيل، فقد أقام عدة مقايس أهمها كان ما بين عام ٢٤٧ هـ ـ ٨٦١ م، وكانت أهم هذه المقايس التي أقيمت على جسور النيل كان بأهم مدن مصر وخصوصًا مدينة الفسطاط، كما أنَّ الخلفاء العباسيين كانوا يقيمون القصور بجوار هذه المناسب، وكان يُعلِّقون عليها الأعلام والقناديل خصوصًا في أيام الفيضان فرحًا بزيادة النيل، وكانت هذه الأعلام تُعلَّق في زمن العباسيين من قماش أسود، وقيل قماش أصفر .. وكذلك في عهد المماليك والعثمانيِّين من قماش أخضر، كما أن الخلفاء العباسيين قد اهتموا بزيادة الرقعة الزراعية، فقد كانت من قبلهم في زمن هشام بن عبد الملك تُقدَّر ٢,٠٠٠ ألف فدان، أمَّا في عهد العباسيين فكانت تُقدَّر في زمن المأمون ١٢,١٢٨ ألف فدان، وفي زمن المعتز بالله ٢,٤٠٠ ألف فدان .. وفي زمن المعز لدين الله ١١,٦٠٠ ألف فدان .. وفي عهد المنتصر بالله ١,٥٣٠ ألف فدان .. وفي عهد صلاح الدين ١٢,١٣٨ ألف فدان.

٦ ـ في عهد أحمد بن طولون

اعتنى أحمد بن طولون بالنيل وجسوره، وأقام عليها عدد من مناسيب، ورمَّم ما أقامه السابقون من مقاييس للنيل، كما أنه غير القائم بهذا العمل وجعله الحارث بدل من الخازن، وكانت أهم المقاييس التي أقامها أحمد بن طولون هو مقياس مدينة قوص وآخر عند مدينة الفسطاط، وكانت زيادة النيل ونقصانه تُعلَن في المساجد.

٧ ـ في عهد الفاطميين

لم يكن الفاطميون أقل من غيرهم، فقد أقاموا العديد من مقاييس النيل إلاَّ أنهم أوقفوا الإعلان عن الفيضان في المساجد، وكان الهدف من ذلك هو عدم إشعار تجار البلاد بنقصان النيل فيحتكرون العديد من السلع، وذلك لمنع رفع الأسعار،

وكان يعلن عن الفيضانات في المساجد وقت الزيادة فقط، والتي قد وصلت إلى أكثر من ١٦ ذراع، وهي أعلى زيادة في مقايس النيل.

المقياس في عهد المماليك:

ذكر القلقشندي أنَّ المماليك أضافوا العديد من التجديدات إلى مقايس النيل، وهم أوّل من حدَّد قاع البحر ليعرف مستوى ارتفاع من قاع البحر إلى سطح الماء، وكان المقياس في عهد المماليك يُؤخذ يوم ٢٦ بئونة ويعلن في المساجد في اليوم التالي وتحديد قيمة الزيادة لتسعد الناس بقدوم الخير، ومازال الاهتمام بمقايس النيل قائم إلى اليوم، هذا ولم تكن تلك المقايس على النيل فقط، بل وضعت المقايس للترع والقنوات الفرعية في كل مكان داخل مصر.

فيضان النيل:

كانت أيام الفيضان هي أسعد الأيام التي يعيشها أهل مصر، فهذه الأيام هي أيام الاعياد الحقيقية مثل أعياد الحصاد، فقد كانت أيام الفيضان تُقدَّر ١١٠ يوم، وكان أكبر وأكثر هذه الفيضانات عام ١٨٩٠ ــ ١٩٣٥ م واستمر ١٢٥ يوم، وكان أكبر الفيضانات عام ١٨٩٤، فقد وصل إلى ١٦٢ يوم، وقد يبدأ يوم ١٧ مايو إلى ٢٦ أكتوبر .. وقد حدث الفيضان ٢٠٧ مرَّة، وكان يتعَّدى ٧٥ % ويكون في شهر مايو و١٥ % شهر يوليو، وكان أغلب وقت الفيضان يبدأ من يوم ١٧ مايو إلى يوم ٦ يوليو.

چيولوچيا النيل:

يدخل النيل مصر عند قرية أدندان بمدينة أسوان .. ويجري بانحدار يُقدَّر بحوالي خمسة عشرة كيلو متر في المسافة من أسوان إلى قنا بمُعدَّل متر واحد لكل ١١,٤ كيلو، ونقل الرواسب النيلية عند دخوله مدينة بني سويف خصوصًا بعد بناء السَّد العالي، ويتفرَّع النيل عند القاهرة إلى فرعي دمياط ورشيد بالإضافة إلى

الفروع الخمس القديمة التي جفَّ بعضها أو حُوِّل .. ويجري النيل في مصر بطول ١٥٣٠ كيلو متر بعد خروجه من بلاد النوبة .. وقد أكَّد التاريخ أنَّ مجرى النيل قد تغيَّر عبر العصور الچيولوچية للنهر، ممَّا جعل الفروع القديمة تُدفن تحت الرمـــال بسبب عصور وسنوات الجفاف وبسبب تغير مجرى النهر بسبب الفيضـــان، وقـــد جعلت هذه التأثرات النيل يغير مجراه على الزمان، وقد أكدت ذلك جميع الحفريات التي وُجدت والتي ترجع إلى أكثر من ٦٠ مليون عام، ومن هذه التأثيرات تراجـــع البحر عندما يقرب عشرين مليون سنة، وقد أدَّى تراجع النهر والبحر إلى وجـــود شبكات تصريف.

وكان النيل يقطع طريقه عن طريق النحوت المائية خصوصًا في الجنوب عـــن الطور الأوَّل لنشأة هذا النهر، ولم يبدأ تكوين الدلتا والكتلة الجنوبية إلاَّ بعد تـــراكم هذه الرواسب بسبب سهول الانحدار بالقرب من الدلتا، وكان كلٌّ من هذه البحيرات يُطلق عليها قبل ذلك «ما قبل النهر»، ثم أُطلق عليها اسم «نهر ما قبل النهر»، وهو ما يُسمَّى عند الجغرافيون بـــ«البرنيبـــل» أو النيـــل الحـــديث، وهـــو المعـــروف بـــ«النيونيل»، وذلك بعد اتصال النيل المباشر بمنابعه الأفريقية .. ويُذكر أنَّ النيل قد بدأ يتصل بالمنابع منذ ما يقرب من أكثر ٧٠٠ إلى ٨٠٠ ألف عـــام قبـــل الآن، وكان هذا الاتصال بسبب تغيير التضاريس، ونحوت المياه النيلية لشواطئة ورواسبه بسبب تراجع العصور الجليدية منذ حوالي من ١٠,٠٠٠ سنة.

ثم بدأ يظهر النيل من الخانق منذ ما يقرب من ستة ملايين عام، وقد أكدت ذلك الكشوف البحرية التي أُجريت في البحر الأبيض المتوسط عام ١٩٧٢ م للتعـــرف على مدى وصول النيل إلى البحر الأبيض المتوسط وهو ما يُسمَّى بـــ«فجر النيل» أو «الميوسني» أو «العصر البليستوسيني» بجفاف النيل، وذلك أدَّى لظهور الجلاق بمصر والسودان وظهور المصاطب على جانب النيل خصوصًا في منطقـــة بـــلاد

النوبة، كما أنَّ العصر البرنيل بدأ فيه ظهور هضبة أثيوبيا ببلاد النوبة، وهذه الهضبة مُتعدِّدة الشلاَّلات وهي تُشبه شبكة الأخدود، خصوصًا في منطقة حوض النيل، والتي كانت سببًا في اتصال طرف النيل ببحر يوسف في مصر الوسطى ممَّا كان سبب في تكوين الدلتا بأكثر من ثلاث أمثال مساحتها الحالية، والتي كانت تُقدَّر بحوالي ٢٠٠ مليون متر مكعب من الرواسب التي يلقى النيل بها خلال ٣٠٠٠٠٠ عام، وقد أدَّى ذلك للعثور على بعض الأدوات التي يرجع عهدها إلى العصر الحجري خلال كشوف منابع النيل وتراجع النيل عن مجراه.

وقد عرف القدماء المصريون وكذلك المسلمون منابع النيل، وعلى رأس هؤلاء العالم الشهير ابن سليم، فقد وصل في رحلاته إلى دنقلة، وقد تعدَّى جميع جنادل النيل، وقد حدَّد جميع انحناءات النيل بالتفصيل، وقد رسم للنيل خريطة ظلَّت معروفة حتى عام ٨٣٩ م، وقد ذكر ابن الفقية أنَّ ابن سليم وصل إلى مدينة علوة بعد السودان، وقد ذكرها المسعودي قائلاً إنَّ مدينة علوة أمَّة عظيمة – يقصد بذلك أهل السودان – وذكر أنَّ أرضها تنبت ذهب، وذكر أنَّ النيل شديد الانحدار بعد بلاد النوبة .. وذكر الإدريسي أنَّ نهر النيل ينفصل عند نهر النيجر على عكس ما ذكره ابن بطوطة وبن فضل، إلاَّ أنَّ ابن بطوطة قد زاد في تحديد البلاد التي يمر النيل بها، وذكر من هذه المدن «كارسخو ــ كابرة ــ زاغة ــ كوكو ــ دنقلة ــ تمبكتو ــ مولي»، ثم ذكر بعدها بلاد النوبة ومصر، وقد ذكر ابن سليم في وصفه ماء النيل أنه أبيض اللون يشبه طعمه طعم اللبن .. وذكر فرع من فروع النيل وهو الفرع الأخضر، وذكر أنَّ هذا الفرع يبدأ عند مدينة علوة، وذكر المؤرخون أنَّ المسافة من مدينة علوة إلى مصر تُقدَّر بحوالي مسيرة شهرين على الأقدام.

وقد حدَّد الخوارزمي البلاد التي يمر من خلالها النيل، وقد حدَّدها على الخريطة التي رسمها للنيل، وقد ذكر من هذه البلاد «علوة ــ زغاوة ــ فزان ــ النوبة»،

وذكر عليها الجنادل الثلاثة الأولى، وقد أكَّد مع غيره أنَّ النيل ينتهي بسبعة فــروع تجتمع جميعها عند مدينة «كابو»، وذكر على هذه الخريطة مدينة الخرطوم والنيل الأخضر واتصاله بالنيل الأبيض، وذكر مدينة النوبة عند الشلال الثالث الذي يمتــد حتى حدود مصر، كما أنَّ المسعودي قد ذكر أنَّ بلاد النوبة بها ضياع عــدد مــن المسلمين، وذكر أنَّ هذه الضِّياع تصل إلى مدينة مربيس، وأنَّ هذه الضيابح تنتهي عند مدينة بولاق، وذكر أنَّ مدينة بولاق يلتقي عندها النيل بروافده القادمة من بلاد الحبشة.

وقد ذكر أنَّ النيل يختفي تحت الأرض عند بلاد النوبة، ثم يظهر عنــد مدينــة دنقلة، إلاَّ أنَّ الإدريسيى قد عارضه في ذلك لأنه لم يكن لديه السند على ذلك، وذكر الإدريسي أنَّ هذا ينطبق على نيل السوادن عندما يغوص تحت الرمــال .. وذكــر المسعودي واليعقوبي وغيرهم أنَّ الشعوب التي تعيش بهذه المنطقة أنهم من نســل كوش بن سام بن سيدنا نوح ، وذكر أنَّ أبناء كوش انقسموا إلى قســمين قســم يعيش ببلاد النوبة والقسم الآخر يعيش بالجانب الغربي من النيل بين نهــر النيــل ونهر النيجر، وخصوصًا في منطقة بحيرة تشاد ببلاد «زغاوة» أو «كوكو»، وذكر أنَّ كلمة النوبة كلمة عربية مصرية ومعناها أصل الذهب، وقد أطلــق المســعودي واليعقوبي على هذه البلاد «منطقة الشلالات»، وذكرا أنَّ هذه المنطقة كانت مقسَّمة قبل الإسلام إلى ثلاث مدن هي:

«علوة ــ النوبة ــ المقرة»، وقد ذكر القس چوليان مبعوث الملك چستنيان عام ٥٤٠ ــ ٥٤٨ هــ أنَّ هذه المنطقة يعيش بها عدد كبير من المسيحيين، وذكر أنهم أقاموا في نصف القرن السادس الميلادي بهذه المنطقة محكمة مسيحيَّة تحت حكــم الملك «سيكو» الذي بنى مدينة دنقلة القديمة والتي ظلت عاصمة بلاد النوبة أكثــر من سبعة قرون .. وقد أكد ذلك المؤرخون عن طريق المعاهدات التي أقامها عبــد

الله بن سعد بن أبي السرح عام ٣١ هـ في عهد سيدنا عثمان بن عفان عند فـتح بلاد النوبة مع ملك النوبة، وقد حدَّدا حد بلاد النوبة، وذكـرا أنَّ نهايتهـا مدينـة أسوان .. وأنها تقع من أسوان إلى مدينة علوة، وقد ذكر ذلـك المسـعودي عنـد زيارته للمنطقة عام ٣٠٣ هـ و٣٣٤ هـ، وذكر أنَّ هذه البلاد تتعـدَّى حـدودها صعيد مصر .. وذكر ابن سليم أنَّ المسلمون كان لهم بهذه البلاد ضـياع وكـانوا يؤدون خراجها إلى ملك المدينة، وذكر أنَّ ملك النوبة حضر إلى الخليفة المـأمون في شهر المحرم عام ٢١٧ هـ ــ ٨٣٢ م، وقد مضى المأمون للمسلمون بأرضهم.

وذكر المسعودي أنَّ سيدنا عمر بن الخطاب أمر سيدنا عمرو بن العاص بفـتح بلاد النوبة، فأرسل عمرو بن العاص نافع بن عبد القيس الفهـري، إلاَّ أنَّ سـيدنا عمرو بن العاص قد عُزل في عهد سيدنا عثمان بن عفان فلم يتم فتحها إلاَّ عام ٣١ هـ الموافق مايو ٦٥٢ م وصالح أهلها على الجزية واستمرَّ العمل بدفع الجزيـة، وقد دخلت بعض هذه القبائل في الإسلام مثل قبيلة ربيعة، وقد ذكر ابن سليم مدينة النوبة وذكر قصورها العالية..

وذكر كنائسها العالية والكثيرة، وأنَّ الذهب يكثر بها، وأنَّ دين أهلها فـي هـذا الوقت هو دين النصرانية.

وذكر أنَّ مدينة دنقلة يسكنها قبائل الدريجيون وقبائل الكرنينا، وذكر أنَّ النفـوذ العربي قد ظلَّ على هذه المنطقة حتى القرن العاشر الميلادي، وأنه قـد زاد عـام ٨٨١ هـ ــ ١٤٧٤ م، وأنَّ العرب أقاموا بعدها مدينة «أريج» عـام ٩١٠ هـ ــ ١٥٤٠ م، وذكر أنَّ قبائل هذه المنطقة من أصل بني أمية قد هربوا إلى النوبة بعد قيام الدولة العباسية وعاشوا ببلاد الحبشة وأقاموا بها مدينة «سنار القديمة»، وأنهم صاهروا أهل الحبشة من قبائل «البجة»، ثم ذكر المسعودي بعد ذلك وصف مجرى النيل حتى وصل إلى أسوان وما بعدها حتى مدينة الفسطاط، وذكر سبب تسـميته

الصعيد بـ«الصعيد» لارتفاع أرضها، وذكر أنَّ الجهة التي تقع غرب فرع النيل أنها كانت تُسمَّى بالحوف الغربي، وقد ذكر أبو الفداء أنَّ النيل يدخل مصر عند أسوان، كما ذكر ارتفاع أرضها .. وذكر أن أهل الصعيد أهل طيبة ومودة وكرم ومحبة، وذكر أنَّ النيل يدخل أسوان عند خط عرض ٢٢ ويصل بعدها إلى مدينة الفسطاط عند خط عرض ٣٠، وأنه يصب في البحر الأبيض عند خط عرض ٣١، وذكر أنَّ النيل يدخل مصر عند هضبتين مرتفعتين ثم يمر بصحراء مصر، ثم يصل بعدها إلى أرض الدلتا .. وذكر أنَّ الذي سمَّاها بـ«الدلتا» هم اليونانيون، وذلك لأنها تشبه الحرف الرابع في لغتهم والذي يسمَّى «دلتا»، وذكر أنَّ الدلتا قد تكوَّنت من خلال الرسوب الطينية التي تكوَّنت من خلال العصور القديمة، وذكر أنَّ النيل ينقسم عند الدلتا إلى سبعة فروع هي:

١ ـ منف . ٢ ـ المنهى. ٣ ـ الفيوم . ٤ ـ سخا .

٥ ـ دمياط . ٦ ـ الإسكندرية . ٧ ـ سردوس .

مجرى النيل:

١ ـ المنابع الاستوائية

تُعد المنابع الاستوائية فم مجرى النيل النهرية، وأهم البحيرات التي تقع على هذه الهضاب تنقسم إلى مجموعتين:

أ ـ مجموعة بحيرة ڤيكتوريا

ب ـ مجموعة ألبرت

أولاً: مجموعة بحيرة ڤيكتوريا:

تتوسط هضبه ڤيكتوريا هضبة البحيرات، وهي تأتي في مقدمة البحيرات القديمة على مستوى العالم من حيث الاتساع، وتُقدَّر مساحتها بحوالي ٦٩٠٠٠ كيلو متر مربع، وتصب هذه البحيرات في عدَّة أنهار ونهيرات، أهم هذه الأنهار نهر

«كاجيرا» الذي ينبع بالقرب من هذه بحيرة «تنجانيقا» على خط عرض ٤ جنوبًـــا، ويعد هذا المكان بداية نهر النيل .. ويصل عمق بحيرة ڤيكتوريا عنده إلى أكثر من ٤٠ متر، ويصل في بعض الأماكن إلى ٨٠ متر، ويصل ارتفاع المياه فـــي هـــذه البحيرة عن سطح البحر إلى ١١٣٣ متر.

ثانيًا: نيل ڤيكتوريا:

لا يخرج من بحيرة ڤيكتوريا سوى نهر ڤيكتوريا الذي تعترضه عدة روابي بعد خروجه بحوالي كيلو ونصف من الأمتار، ثم يسير هذا النهر بعد ذلك في مجـــرى ضيق شديد الانحدار، ثم يسير بعد ذلك فوق أرض منبسطة فتتضاعف تيارات المياه ويتسع مجرى النيل، وتعد هذه المنطقة صالحة للملاحة، ويمر نيل ڤيكتوريـــا مـــن بحيرة «كيوجا» في الجنوب الغربي، ثم يشتد الانحدار وتكثر الجبال والشـــلالات، وأهم هذه الشلالات شلال «مرتشينرون» الذي لا يتعدّى اتساعه عن ثمانية أمتـــار، تسقط عنده هذه المياه المتدفقة لضيق المسار، ثم يصب في بحيرة ألبرت في الجانب الشمالي الشرقي من بحيرة ڤيكتوريا.

البحيرات الأخدودية:

وهي عبارة عن عدَّة بحيرات أهمهـــا بحيـــرة «عبـــدى ــ أمـــين ــ أدوارد ــ موبوتو»، وهي بحيرات أخدودية ويعد نهر " سمليكى " أهم أنهار هذه البحيـــرات ويصل ارتفاع هذه البحيرات عن سطح البحر ٩١٤ متر ولا يتعدى مساحتها ٢٢٠٠ كيلو متر مربع ثم يخرج بعد ذلك من هذه البحيرات نهر " سمليكى " الذي يصـــل بينها وبين بحيرة ألبرت التي يصل مساحتها إلى ٣٥٠٠ كيلو متر مربع وترتفع عن سطح البحر ٦١٨ متر.

بحيرات الجبل وروافدها:

يصل طول بحر الجبل من بداية مخرجه إلى بحيرة ألبرت جنوبًا حتى بحيرة «موبوتو» شمالاً ١٢٠٠ كيلو متر، ويتميَّز منبع هذه البحيرة بالتنوُّع من حيث التوابع، وهذا التنوع يجعلها تنقسم إلى أربعة أقسام هي:

١ ــ بحيرة موبوتو ألبرت إلى «ينمولي»، ويتسع في هذه المنطقة مجرى النيل ويطلق عليه «نيل ألبرت».

٢ ــ المنطقة الثانية من ينمولي إلى الرجاف؛ إذ يظهر في هذه المسافة صفات المجاري النهرية ممًّا يكون سببًا في ظهور وتعدُّد الشلالات والمساقط المائية، وأهم هذه الشلالات «قمولا»..

٣ ــ المنطقة الثالثة تبدأ من «الجراف» إلى «بوروني»، وفي هذه المسافة يقل الانحدار عند بداية السهول السودانية، وفي هذه المسافة تسهل الملاحة.

٤ ــ المنطقة الرابعة بحر الغزال .. ينتهي بحر الغزال عند بحيرة «نوا»، ويطلق عليها اسم بحر الغزال حيث تتفرَّع مياه النيل إلى الكونغو، وتكثر في هذه المنطقة السدود خصوصًا في جنوب «دارفور»، وتعد هذه المسافة غير صالحة للملاحة.

حوض السد

يُعد إقليم السد أو حوض السد من أهم المناطق السودانية خصوصًا في السودان الوسطى، وتتميَّز بالانحدار القليل لمسافة ١٧٦٧ كيلو متر بين جوبا ومدينة الخرطوم .. ويُعد هذا الحوض قصور بين فرع جوبا والملكال، وتكثر الأمطار المتساقطة على هذا الإقليم ممًّا كان سببًا في ظهور الحشائش، خصوصًا على جانبي البحيرة الاستوائية الذي يصل طولها إلى أكثر من ١٠٥٠ كيلو متر تقريبًا ويصل عرضها إلى ٥٣٠ كيلو متر مربع وتصل مساحتها إلى أكثر من نصف مليون كيلو

متر مربع، وتصل بين مياه النيل الأزرق والسوباط والعطبرة إلاَّ أنَّ عمليات الحفر التي أجريت للبحث عن البترول في هذه المنطقة كانت سببًا في قطع هذا الاتصال.

كما أنَّ الأمطار المتساقطة في هذه المنطقة كانت سببًا في أن تكون هذه المنطقة منطقة خزانات بين الكثبان الرملية التي تكونت خلال العصور الجافة السابقة والتي تُقدَّر بأكثر من ٤٠ ألف عام إلى ٢٦٠ ألف عام ممَّا كان سببًا في أن تُكـوِّن هـذه البحيرات أكبر البحيرات في قارة أفريقيا والتي تنحدر مياهها إلى بلاد النوبة، وقـد تصل إلى مصر أحيانًا، وتُسمَّى هذه المنطقة منطقة «الشيلوكة» التي تبعد عن مدينة الخرطوم بما يُقدَّر بحوالي ٨٥ كيلو متر وهي المنطقة المعروفة بمنطقـة الشـلال السادس، ويعبر النيل هذه المنطقة إلى جزيرة الريان حيث يمر بعد ذلك من الخور الضيق بين الجبال بطول ١٢ كيلو متر، ولم يتغيَّر مجرى النيل عن هذا المكان منذ أكثر من ١٢٥٠٠ عام.

أنهار المرتفعات الاستوائية:

يُعد النيل الأزرق والعطبرة أهم أنهار هذه المنطقة بالإضافة إلى السوباط، وهي أنهار موسمية، وتُقدَّر الأمطار الموسمية في هذه المنطقة بحوالي ٤٠٠ ملليمتر في كل متر خصوصًا في شهر أغسطس، وتصل إلى ١٤٠٠,١٠٠٠ مليمتر في العـام الواحد وخصوصًا عند نهر البارون وروافد السوباط عند جبال شـوكاي، ويصـل ارتفاعها عن سطح البحر إلى أكثر من ٤٠٠٠ متر، وتتعدَّد القمم الجبلية في هـذه المنطقة حيث تسقط الثلوج، وتنبع من خلال هذه الروافد النيلية الثلاثة من طفـوح بركانية، وكانت هذه الطفوح قد نشطت في العصرين «الميوسين ــ والبلستوسنين»، أي منذ ما يُقدَّر بحوالي ٢٧ مليون عام ممَّا كان سببًا في تعدد التغيرات فـي هـذه المنطقة.

العطبـــــرة :

يُعد نهر العطبرة من أهم الانهار الموسمية حيث ينبع من ناحية الشرق ويتصـــل من ناحية الغرب بحيرة طانا بالقرب من منابع النيل الأزرق عنـــد خـــط عـــرض ١٥,١٢ وخط طول ٤٠,٣٦، وينبع نهر العطبرة من جزيرة تساعده علـــى تنظـــيم سيره، وذلك للاعتماد على عشرات الروافد التي تساعده على الامتلاء بالماء خلال الأمطار الموسمية – خصوصًا في شهر يوليو – إلى نهر «الجانج» ونهر «القاش» الذي يختفي بعد ذلك في الصحراء، وقيل أنَّ هذا النهر قد نشأ منذ أكثر من مليوني عام، أي في العصر البلستوسين، ومازال يجري على نفس هذا المجرى إلى الآن.

النيل الأزرق:

يغطي النيل الأزرق معظم الأراضي الاستوائية خصوصًا في ناحية الغرب عند خط طول ٤٠ وخط عرض ١٢,٩ خصوصًا النبع الجنوبي عند بحيرة طانا والذي يخرج منه «الأباى الصغير» الذي يتجه بعد ذلك إلى بحيرة طانا ثـــم يتجـــه إلـــى الشمال، ويصل عمقه إلى أكثر من تسعة أمتار .. وقد سدد مخازن هذا النيل القديمة بسبب الطفوح البركانية، ولم يكن لها مخرج إلاَّ عند جزيرة «دبرى ــ مريـــام ــ شيمابو»، وهذه الجزر جزر بركانية حيث يبدأ النيل الأزرق أكبر رحلاته والتـــي تُقدَّر بحوالي ٣٠ كيلو ناحية الجنوب الشرقي حتى شلال «تسيات»، ثم يصل إلـــى الخانق عند قنطرة «دبرى مرقص»، ثم يتجه بعد ذلك إلى الجنوب الشرقي لسلسلة الجبال خصوصًا «شوكا» التي يصل ارتفاعها عن سطح البحـــر بحـــوالي ٤٤١٣ متر، ثم يصل بعد ذلك إلى راوفد نهر شبيلي وأنهار «جاما ــ والموجر ــ والجودر ــ والفنشا»، وكل هذه الروافد تنبع من الأخدود الأثيوبيـــة عنـــد بلـــدة الرصـــيد بالسوادن، ثم ينبسط النيل الأزرق ليحمل الرواسب إلى إقليم الجزيرة، وهو أخصب الأراضي السوادنية، ويكثر بهذه المنطقة السهول التي تكوَّنت من خلال الرواســـب

البركانية ممًا جعلها سببًا في تعدُد فروع النيل الأزرق في هذه المنطقة والتي تصل إلى النيل الابيض.

الســوبـــاط:

تصل مساحة منطقة السوباط بحوالي ٢٤٠٠٠ كيلو متر مربع، وأهم روافد نيل السوباط نهر البارون ونهر البيبور والتي تمده بالمياه ثم ينبسط بعدها ليلتقيان بعــد مسافة ٦٥٠ كيلو متر ناحية السوباط، وهناك يوجد نهر «أومو»، ويعــد مصـــدر مياهه من الأمطار الموسمية التي يرتفع منسوبها عند بحيرة «توركان»، ثم ينحدر بعد ذلك ممًا يكون سبب في تساقط المياه بحوالي ٨٠ متر .. ويعد نهر السوباط من الانهار الحديثة.

النيل النوبي:

تمتد هضبة السوادان ومصر من الشبلوكة إلى أسوان، وهي عبارة عن قنطـــرة تمر فيها مياه النيل ممًا أدَّى إلى ظهور نهر شاب يعوق الشلالات والجنادل بســبب ظهور الصخور والهضاب في منطقة النوبة حتى يصـــل إلـــى البحـــر الأبـــيض المتوسط، ولكن تمَّ التغلُّب على هذه العوائق بعد إقامة خزان أسوان والسَّد العـــالي ممًا كان سببًا كبير في تجمع كميات كبيرة من المياه خصوصًا مواســـم الفيضـــان، ويعد النيل من بداية وادي حلفا إلى عمار يمر خلال الصخور النارية، وتُقدَّر هـــذه المسافة بحوالي ١٢٠ كيلو متر، وهي صخور نارية داكنة .. ممًا كان ســـبب فـــي تسمية هذه المنطقة بـــ«بطن الحجر»، وهذه المنطقة هي منطقة الشلال الثاني، وأهم جنادل هذه المنطقة هو جندل «سمنه»، وتعد هذه المنطقة أكثر المناطق التي يكثـــر بها المعابد التي بناها القدماء المصريين والرومانيون وذلك لتأمين حـــدود مصـــر الجنوبية، وترتفع هذه المسافة من الخرطوم إلى أسوان بحوالي ٣٧٨ م عن ســـطح البحر، وتقدَّر المسافة بين أسوان إلى الخرطوم بحوالي ١٨٤٧ كيلو متر ممًا كـــان

سببًا في أن يكون الانحدار في هذه المنطقة انحدار غير منتظم خصوصًا بعد الشلالات الستة وتحديدًا بعد قرية «يجريمة» التابعة لأبو حمد، وتكثر الوديان بهذه المنطقة وهي وديان جافة.

النيل العظيم:

يبدأ النيل العظيم عند مدينة أسوان وينتهي عند البحر الأبيض المتوسط بعد أن يتفرع إلى الشمال عند القاهرة إلى فرعي دمياط ورشيد .. ويصل طوله في هذه المسافة إلى ١٢٠ كيلو متر، وينحدر متر واحد في كل ٣ كيلو متر، ويجري عند دخوله مصر في مجرى ضيق ثم يتسع بعد ذلك ويميل إلى الجانب الأيمن من الوادي.

الشلالات:

يمر النيل بستة شلالات وهي: الشلال الأول ويوجد عند وادي حلفا، وهو يأتي بعد شلال أسوان ويبعد عن الشلال الثاني والثالث بحوالي ١٥٠٠ متر، وقد جاء ذكر هذا الشلال في نقوش «أمنحتب الثالث»، ويوجد الشلال الرابع عند جزيرة «دوجلاس» وسط الصحراء، ويوجد الشلال الخامس هو الشلال السليماني، ويحيط بهذا الشلال مجموعة من الجزر بالقرب من النيل الأزرق والنيل الأبيض، ثم الشلال السادس بالقرب من مدينة أسوان بمصر.

أهم السدود – أول سد في العالم:

كان أول من فكر في إقامة السدود وذلك للاستفادة من الفيضان في أيام الجفاف للنيل هو الملك مينا موحد القطرين، ودلَّ على ذلك النقوش التي وُجدت على لوحة «نارمر» والتي يرجع عصرها إلى عام ٣١٠٠٠ قبل الميلاد وذلك بإقامة السدود عند مدينة منف وتقسيم الأرض إلى أحواض .. وكان أحد هذه السدود يقع عند قرية

تُسمَّى «قشيشة» عند مديرية الجيزة الحالية، وكان ارتفاع هذا السد خمسة عشـــرة مترًا، ويبلغ طوله حوالي ٤٥٠ مترًا، وذلك لتحويل مجرى النيل إلى الغرب .. وقد أكد ذلك الكشوف الجغرافية لفروع النيل القديمة التي كانت تصل إلى أبـــو صـــير مركز سمنود غربية، كما أن الملك مينا أقام العديد من الجور لحماية مملكته.

ثانيًا: أهم السدود التي تقع على النيل

١ ـــ سد أوين

كان الهدف من إقامة هذا السد هو أن يكون خزان على نهر النيل عند هضـــبة وبحيرة فيكتوريا، لأن هذه المنطقة هي أضيق منطقة على هذه البحيرات وخصوصًا بحيرة ألبرت، وذلك لاستفادة أوغندا من هذا السد لتوليد الطاقة الكهربائية اللازمـــة لها، ويبلغ ارتفاع هذا السد إلى أكثر من ثلاثين مترًا، ويبلغ طولـــه حـــوالي ٧٥٠ متر، ويبعد حوالي ثلاثة كيلو عن بحيرة فيكتوريا، وسعة هذا السد أكثر من عشرين بليون متر مكعب من الماء.

٢ ـــ سد كيـــوجـــا

كانت منطقة كيوجا هي أكثر المناطق التي يضيع فيها كمية كبيرة مـــن الميـــاه النيلية، لأنه لا يمكن توسيع بحيرة فيكتوريـــا بســـبب الصـــخور المجـــاورة لهـــا والموجودة على شطآنها، ولم يكن هناك سبيل غير تعميق هذه البحيرة وإقامة هـــذا السد في هذه المنطقة.

٣ ـــ سد ألبرت موتير بأوغندا

كان الهدف من إقامة هذا السد على بحيرة ألبرت هو العمل على رفع نسبة المياه المراد تخزينها وذلك لقلة حصة الرَّي في مصر والتي كان يُقدَّر الفاقد مـــن ميـــاه النيل في هذا المكان عند بحيرة ألبرت بحوالي عشرين مليار متر مكعب، وقد أقيم هذا السد لتخزين المياه للاستفادة بها عند الحاجة.

٤ ــ سد نيمولي

يقع هذا السد على الحدود السودانية الأوغندية .. بعد سد سوتبر كان من الضروري إقامة هذا السد الذي يبدأ عند بحر الجبل ليحجز المياه التي تأتي من روافد النيل من ناحية الشمال لأن المياه كانت تأتي من هذه الروافد مثل السيول.

٥ ــ قناة جونجلي

تقع قناة جونجلي عند قرية جونجلي، وهذه المنطقة هي أكبر المناطق التي يضيع فيها أكبر الكميات من مياه النيل، لأنّ النيل لم يكن متصل اتصال غير كامل في هذه المنطقة وذلك بسبب الهضاب العالية، وكان ذلك سببًا في ضياع كميات كبيرة من مياه النيل في منطقة الغابات عند منطقة السدود بجانب بحر الجبل عند خط عرض ٩,٥، وتسير هذه القناة ملاصقة لبحر الجبل وموازية للنيل الأبيض عند التقائه بالنيل الأزرق .. وقد تقدَّمت الحكومة المصرية إلى حكومة السودان لإقامة هذه القناة لتصل بين طرفي النيل في السودان بين طوائف شمال وطوائف الجنوب من المسلمين والمسيحيِّين، وأغلب هذه القبائل هي «الدنكا ــ المنداري ــ النوير ــ الشيلوك»، وقد استغلَّت بعض الجهات السياسية هذا الخلاف بين الدولتين لتعطيل هذا المشروع لأنَّ هذه الجهات قد أدركت قيمة هذا المشروع على مصر والسودان وما سيعود به من تنشيط النقل النهري وزيادة الرقعة الزراعية، وكانت الحكومة المصرية قد تعهدت لحكومة السودان بكافة التكاليف لأن هذه القناة كانت تنقل في اليوم الواحد ما يُقدَّر بحوالي ٢٥ مليار متر مكعب من المياه في اليوم الواحد هذا في المرحلة الأولى، وكانت تنقل في المرحلة الثانية ما يُقدَّر بحوالي ٥٥ مليار متر مكعب من المياه، وكانت ٢١,٢ بليون متر مكعب من الماء، ولم يتم من هذه المسافة إلاَّ حوالي سبعون كيلو متر فقط ثم توقف المشروع بسبب الصراعات التي ذكرناها من قبل.

٦ ــ سد الجبل ــ(الاولياء)

جادت هذه الفكرة عام ١٩٣٧ م على النيل الأبيض جنـــوب مدينـــة الخرطـــوم بحوالي أربعون كيلو متر، ويصل طول هذا السد إلى حوالي ٤٥٤٠ متر، ويُقدَّر ما يخزنه هذا السد من المياه الفاقدة بحوالي ٣ مليار متر مكعب من المياه.

٧ ــ سد بحيرة طانا

هذا السد مقام على بحيرة طانا، وتُقدَّر مساحة هذه البحيرة بحوالي ٣,١٠٠ متر مربع، وكان الهدف من إقامة هذا السد تحويل هذه المنطقة إلـــى تخـــزين الميـــاه المفقودة في هذه المنطقة والتي تُقدَّر بحوالي ٣,٥ مليار متر مكعـــب مـــن الميـــاه، وتخزين هذه الكميات من المياه داخل النيل الأزرق .. ويُوفِّر هذا السد لمصر ٢,١ مليار متر مكعب من المياه وهو أقل السدود من حيث التكاليف.

٨ ــ سد الرصيرص

كان الهدف من إقامة هذا السد هو توفير كميات المياه المفقودة في هذه المنطقـــة للسودان، وهذا السد مقام على النيل الأزرق، وهو مقام على بعد ٥٥ كيلـــو متـــر جنوب مدينة الخرطوم، وعلى بعد ١٠٦ من الحدود السوادانية مع ليبريا .. وكـــان هذا السد سبب في تخزين أكثر من حوالي ١٨ مليار متر مكعب من المياه خلف هذا السد، وقد أقيم هذا السد بالمنح والقروض التي قدمتها دولة ألمانيـــا - الغربيـــة - وذلك للاستفادة بهذه الكميات من الماء لزراعة ٢٠٠,٠٠٠ فدان، وقد تم إنشاء هذا السد عام ١٩٢٠ م.

٩ ــ سد خشم الجربة

يقع هذا السد على نهر عطبرة عند قرية خشم الجربة، وكان الهدف من إقامـــة هذا السد هو تغير هذه الكميات المفقودة من المياه لسكان منطقة وادي حلفا، وتصل طول القاعدة الخرسانية لهذا السد ٣٥٠ متر من الداخل، أمَّا طول هذا الســـد مـــن

الخارج يُقدَّر بحوالي ٣ كيلو متر، ويصل ارتفاع هذا السد حوالي ٣٥ متر عن قاع النهر، ويعمل هذا السد على تخزين ١,٣٥ مليار متر مكعب من الماء.

١٠ ــ بحيرة ناصرة ــ (سد أسوان)

تُعد بحيرة ناصر تعد أكبر بحيرة صناعية في العالم، فهي تعمل على تخزين ما يُقدَّر بحوالي ٥,٢ بليون متر مكعب من الماء، وقد أقيمت بعد بناء سد أسوان عـــام ١٩٠٢م، وكان الهدف من إقامة هذه البحيرة هو تخزين هذه الكميات الهائلة مـــن مياه فيضان النيل للاستفادة بها في زيادة الرقعة الزراعية في مصر، وتم تعلية سد أسوان عام ١٩١٢ م ومرَّة أخرى عام ١٩٣٣م، وأصبح هذا السد يحجز أكثر مـــن خمسة ونصف مليار متر مكعب من الماء، ويبدأ تخزين هذه المياه مع بداية شـــهر نوفمبر وديسمبر، ويتم الانتهاء من تخزين هذه المياه في أوائل شهر يناير، ويوجد بهذا السد حوالي ١٨٠ فتحة، وهي تسمح بمرور الطمي مع الماء .. وقد صُمِّم هذا الخزان ليسع أكثر من ٣,٦ بليون متر مكعب من الماء، وقد قام بتصميم هذا الخزان المهندس «وليم ولكوكس»، وقد اهتمت الدولة بتأثير الخزان علـــى آثـــار منطقـــة جزيرة فيلة، لأن المعبد الموجود بها يقع بين السَّد العالي وسد أسوان، لذلك أقيمـــت أعداد كبيرة من القناطر لحماية هذا المعبد، وأهم هذه القناطر قنطرة أسيوط عـــام ١٩٠٢ م، قناطر زفتى عام ١٩٠٣ م، وقناطر إسنا ١٩٠٩ م، وقناطر نجع حمادي عام ١٩٣٠ م .. وقد استفادت مصر من إقامة هذه البحيرة وهذا الخزان بزراعة ما يُقدَّر بحوالي ٣٠٠,٠٠٠ فدان بما يُقدَّر بزيادة تصل إلـــى ١٥٦ % مـــن المســـافة الزراعية في مصر قبل إقامة هذا الخزان، وقد تم تعلية هذا الخزان عـــام ١٩٣٧ م ليسع حوالي ٣ ملايين متر مكعب من الماء، وقد وصلت هذه الكمية عـــام ١٩٨٦م إلى ١١,٤ مليون فدان .. وفي عام ١٩٨٨ م وصلت إلى ٢٣,٠٠٠ ٥ مليون فدان، ولم يصل هذا الخزان إلى الحد الأقصى منذ إنشائه، وأقصى ارتفاع وصل اليه الماء

على جدران هذا السد حوالي ١٧٨ متر مكعب من الماء، وكان ذلك عام ١٩٧٨م، ووصل عام ١٩٧٣م إلى ١٧٦ متر نتيجة زيادة الفيضان .. وأكبر سعة لهذه البحيرة هو ١٣٧ مليار متر مكعب من الماء، وكان أقل منسوب وصل اليه الماء على جداران هذا السد هو ٥٨ متر عام ١٩٨٧، وأقل سعة وصل إليها الخزان هي ٥٥,٧ مليار متر مكعب من الماء.

السَّد العالي:

كان الهدف من إقامة السَّد العالي هو الاستفادة بكميات المياه التي تضيع .. ولم يكن هذا فقط، بل كان الهدف الثاني هو توليد الطاقة الكهربائية لأنَّ نسبة المياه المفقودة من سد السوباط الموجود على بحر الغزال لم تكن بسيطة، فكان الاعتماد الاول على ماء نهر البارون بأثيوبيا قبل إقامة السَّد العالي، وكانت هذه المياه تُقدَّر بحوالي ٣,٨ بليون متر متر مكعب من المياه .. وكان الهدف الثالث هو شق قناة بطول ٤٠٠ كيلو متر شمال النيل الأبيض عند بلدة ملوي، وحفر قناة أخرى بطول ٢٢٥ كيلو متر لتصريف مياه التقاء السوباط مع النيل الأبيض .. وكانت الفكرة هي تخزين المياه في أربعة دول هي: «زائير(الكونغو الديمقراطية) — أوغندا — السودان — أثيوبيا» .. مع البحث عن فكرة توفر لمصر كمية من هذه المياه، وبدأ البحث عن هذه الفكرة في عام ١٩٤٨، وقد تقدم بفكرة إقامة السَّد العالي في هذا المكان المهندس الزراعى اليوناني «أدريان دانينوس» المقيم بالقاهرة بهذا المشروع، وقد تقدَّم به لحكومة الثورة في مصر عام ١٩٥٢م، وكان هذا المهندس معروف بالطموح وعشقه لمصر، وقد قرأ عنها كثيرًا خصوصًا عن نابليون في ديرسانت كاترين، ولم ينسَ عبارة نابليون الشهيرة عن النيل: «لو قُدِّر لي أن أحكم مصر لن أسمح بنقطة واحدة من مياة النيل أن تضيع في البحر الأبيض المتوسط»، وقد نالت فكرة إقامة السَّد العالي تأييد كبير عند الحكومة المصرية .. وبالفعل

تولّى سلاح المهندسين بالقوات المسلحة دراسة المشروع، وبالفعل كانــت الفكــرة ناجحة نجاح كبير.

وبالفعل تم إسناد المشروع للتنفيذ إلى شركتين من الدولة الألمانية هما: شــركة ختيف وشركة ورتموند، وكان ذلك عام ١٩٥٤م، وبالفعل تم البدء في بنـــاء السَّـد العالي على بعد ٦,٥ كيلو متر على بعد من خزان أسوان بعد أن تمَّ تحويل مجرى النيل، وفي بداية المشروع وافق البنك الدولي على تمويل المشروع، إلاَّ أنه بســبب الضغوط السياسية على البنك الدولي من القوى العظمى في الخارج - أمريكــا - رفض البنك تمويل المشروع لتظل مصر واقفة في مكانهــا بحجــة أنَّ الاقتصــاد المصري غير قادر على سداد هذه القروض برغم مــا أعلنــه وزيــر الاقتصــاد المصري من قوة الاقتصاد المصري على سداد هذه القروض، وكان تكاليف بنــاء السد قد قُدرت بحوالي ١٣٠٠ مليون جنيه مصري وهو ما يُعادل وقتها ٤٠٠ مليون دولار بالعملة الصعبة، وتقدّمت بريطانيا بعد ذلك بمشروع تمويل المشروع بشرط أن يكون على مرحلتين، وأن يكون الاقتصاد المصــري تحــت تصــرفها وذلــك للسيطرة عليه من خلال فرض نفوذها على قناة السويس، وقد رفضت مصر هــذا الاقتراح، ولهذا السبب أعلنت الدول الثلاثة بريطانيا وفرنسا وإسرائيل العدوان على مصر، وكان ذلك عام ١٩٥٦م، ولكن مصر تصدَّت لهم بكل ما تملك .. وفي شهر ديسمبر من عام ١٩٥٨ تم توقيع اتفاقية مع الاتحاد السوفيتي لإقامة هذا السد بمبلغ ٤٠٠ مليون روبل سوفيتي، وبعد هذا الاتفاق تم تصميم المشروع عام ١٩٥٩م على مراحل ومنذ قيام الثورة وحتى توقيع الاتفاقية في شهر يناير من عام ١٩٦٠م، أي بعد ثمان سنوات من هذا الصراع، تم اختيار هذا المكان الذي أقيم عليه الســد، إذ يعد أقل اتساع لنهر النيل والذي يبلغ عرض النيل ثلاثون مترًا فقط في هذا المكان، وذلك بهدف الحد من التكاليف قدر الإمكان .. وبالفعل تم بناء السد خــلال عشــر

سنوات فقط، وتم افتتاح السد عام ١٩٧١م، وتم افتتاح السد في حفل كبير حضـــره الرئيس الراحل السادات ورئيس الاتحاد السوفيتي «نيكولاي بور جورني» لأنَّ هذا الحفل كان بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر الذي تولى إنشاء إقامة السد.

جسم السد:

بعد أن تم تحويل مجرى النيل عام ١٩٦٤م لإخلاء مكان السد لسهولة البناء الذي تصل قاعدتة إلى ٩٨٠ متر، وهو عبارة عن ركام من الحجارة الطفلية والجرانيت والرمال الناعمة لمنع تسرب المياه، ويصل ارتفاع السَّد العالي ١١١ متر فوق قاع النهر، ويصل منسوب المياه على جدار السد حوالي ٨٥ متر، ويصل عرض السد من أعلى حوالي ٤٠ متر مرصوف عليه طريقان للسير عليه، أحـــدهما للـــذهاب والآخر للعودة، وتقدَّر المواد التي تم بناء السد منها بحوالي ٤٢ مليون كيلو متـــر مكعب، ويصل طول قمته إلى ٣٦٠٠ متر منها ٥٢٠ على الجانب الأيسر، ويمتـــد على جانبيه بحوالي ٢٣٢٥ متر، والجانب الشرقي بحوالي ٧٥٥ متـــر، وبـــه ١٢ فتحه لتمر المياه من خلالها عند تشغيل التربونات لتوليد الكهرباء .. وقد وصـــلت تكاليف السد ومعدات توليد الكهرباء إلى ٨٢٠ مليون دولار، وتم الانتهاء من سداد هذه القروض عام ١٩٧٨م .. ويقع هذا السد على بعد ٥٠٠ متر من الشلال الثاني من بلاد النوبة، وتقع خلف هذا السد بحيرة ناصر .. وكان أعلى نسبة ارتفاع مياه على جدار السد ١٧٨ متر عام ١٩٧٨م، وتُقدَّر كمية المياه المقسمة بـــين مصـــر والسودان السودان ١٨ مليار متر مكعب من المياه ومصر ٥٥,٥ مليار متر مكعب من المياه في العام الواحد.

فوائد السد:

١ـــ الاستفادة من كميات المياه التي تضيع في البحر الأبيض المتوسط قبل إقامـــة السد.

٢ ـ استغلال مياه الفيضان وتخزينها في بحيرة ناصر ممًّا ساعد علـى زراعـة ٨٠٠,٠٠٠ فدان جديد.

٣ ـ زيادة الثروة السمكية التي تعمل على توفير كميات كبيرة من اللحوم.

عيوب السد

١ ـ إغراق آثار النوبة وخصوصًا معبد أبي سنبل، وقد شاركت في إنقـاذه ٢٣٥ بعثة آثار من ٢٥ دولة لنقل المعبد، وقد تكلف نقله ٤٠ مليـون دولار، شـاركت بعض المنظمات بنصف المبلغ وتولت مصر نصف المبلغ الآخر.

وبدأ نقل المعبد عام ١٩٦٩م، وكذلك معبد جزيرة فيلة تم نقلـه إلـى جزيـرة «أجيلكيا» العالمية عام ١٩٧٩م بعد ترقيم قطع هذا المعبد لتُقام كما كانت من قبل، وقد شاركت هيئة اليونسكو العالمية في هذا المشروع.

٢ ـ القضاء على كميات الطمي التي يحملها النيل إلى الدلتا والتي كانت تعمل على خصوبة التربة.

مفيـض توشـكى:

وكان من مزايا بناء السَّد العالي أنه كان سببًا في إقامة قناة كبيرة تمكـن مـن استغلال قدر كبير من كميات المياه خلال مواسم الفيضان وتحويلها إلى الصـحراء عن طريق مفيض توشكى بدلاً من أن تتسرب في مياه البحـر المتوسـط وذلـك لزراعة كميات كبيرة من الأرض الزراعية لتنجو مصر من خطر المجاعـة فـي المستقبل ولكي يعم الخير والرخاء على هذا الوطن الحبيب.

النيـل في مصر:

يدخل النيل مصر عند قرية أدندان، ويصل طول النيل داخل مصر ١٥٣٠ كيلو متر، حيث إنه يجري من منبعه إلى مصبه بطول ٦٦٧١ كيلو متر، وهـو أطـول انهار قارة أفريقيا وثاني أنهار العالم، إذ يعد نهر المسيسبي وروافده أطول أنهـار

العالم، إذ يصل طوله إلى ٦٧٦٠ كيلو متر .. ويدخل النيل مصر عند أسوان ثم ينحدر بعد دخوله ٣٠٠ كيلو متر بين وادي ضيف بين حافتي الصخور الرملية حتى يصل إلى الجندل الأول .. وقد عجز النيل على إزالة هذه الصخور والحواجز خصوصًا عند وادي حلفا إلى أن يدخل أسوان، ولكن كل هذه الصخور قد غطتها المياه بسبب ارتفاع منسوب المياه في هذه المسافة بعد بناء السدّ العالي وخزان أسوان لأنَّ عرض النيل عند السد لا يتعدَّى ٣٠ متر فقط، ويصل متوسط عرض النيل إلى ٧٥٠ متر خصوصًا بعد مروره من تلال إسنا، ويتسع النيل شيء فشيء إلى أن يصل بني سويف، ويلتزم النيل في سيره بالجانب الأيمن من هذه التلال الجيرية والتي ترافق النيل في سيره بما يزيد على أكثر ٢٣ كيلو متر حتى يدخل القاهرة ويصل إلى القناطر الخيرية، ثم يزداد الانحدار بعد ذلك .. وبعد مروره من القاهرة يتفرَّع إلى فرعي هما فرع دمياط وفرع رشيد حيث يصل طول فرع دمياط إلى ٢٤٥ كيلو متر ويصل طول فرع رشيد إلى ٢٣٩ كيلو متر.

وكان النيل يتفرَّع قديمًا إلى سبع فروع في الدلتا، وكانت هذه الفروع يجري الماء بها إلى عهد قريب، وأهم هذه الفروع:

١ ـ الفرع البيلوزي، وكان يبدأ عند قرية بالوظو بالاسماعلية.

٢ ـ الفرع التانيس، شرق مدينة البحيرة.

٣ ـ الفرع المنديزي، وكان هذا الفرع يجري إلى الفرع القاتنيتس وهو فرع دمياط الحالي.

٤ ـ الفرع السبنتيي، نسبة إلى مدينة سمنود الحالية

٥ ـ والفرع البليتي، وهو فرع رشيد الحالي.

٦ ـ والفرع الكانوبي، والذي كان ينتهي عند خليج كانوب، وهي مدينة أبو قبر الحالية والتي تأخذ منه ترعة المحمودية.

٧ ــ فرع الترميتاك، أي فرع مدينة سخا .. هذا وتصل مساحة الدلتا إلى ٢٢ ألف كيلو متر مربع، وتصل مساحة الوادي إلى ١٠ آلاف كيلو متر مربع.

ويمر النيل بمنخفض الفيوم قبل دخوله الدلتا، وهو أكبر واحات مصر، كما يمر ببحر يوسف – الذي حفره سيدنا يوسف عليه السلام في زمن عزيز مصر – إلى القاهرة بحوالي ١١٨٨ كم بالإضافة إلى طول فرعي رشيد ودمياط بعد ذلك.

وقد كان إنشاء السَّد العالي سبب في تكوين بحيرة صناعية ضخمة بمساحة تُقدَّر بحوالي ٤٠٠ كم٢ وهي بحيرة ناصر ثاني أكبر بحيرة صناعية في العالم، ويتراوح اتساعها إلى أكثر من عشرين كيلو متر، ويصل ارتفاع الماء أمام السَّد العالي إلى ١٨٨ متر عن سطح البحر، وتُعد منطقة كلابشة أضيق خانق يمر منه النيل، حيث يصل طول هذا الخانق إلى أكثر من ٦٠ متر وعرضه إلى ٤٠٠ متر فقط.

ثم يمر النيل من هذا الخانق ليصل إلى الصخور النارية بطول ٥ كيلو متر، ليشق بعدها الصخور النارية بطول عشرين كيلو متر، ثم يصل النيل إلى الجندل الأول بعد مسافة تُقدَّر بحوالي ٣٥ كيلو متر، ثم يمر النيل بعد ذلك بعده جزر أهمها «جزيرة سلوقة»، «جزيرة أسوان» و«جزيرة فيله» أو «جزيرة النباتات»، وقد كان إنشاء السد سبب في وجود النحوت على جانبي النيل، وبعد أن يخرج النيل من الجندول الأول يلتقى بعد ذلك مع هضاب رملية تصل مسافتها إلى أكثر من ١٠٠ كيلو متر بالقرب من خط كنتور بحوالي ١٠٠ كيلو، وكان ذلك سبب في اختفاء الرواسب النيلية في المستنقعات والمسطحات الطينية.

ثم يصل النيل بعد ذلك إلى مدينة إسنا حيث يتأثر بعدَّة تغييرات چيولوچية خصوصًا بالقرب من النوبة، وهي عبارة عن بعض التكوينات الطباشيرية وشرائح طينية والأحجار الجيرية والفوسفاتية، وتمتد هذه التغيرات إلى مدينة قنا، ثم يمتد النيل لينتهي بمدن الوجه القبلى ليدخل بعدها القاهرة ليدخل الدلتا بعد ٢٣ كيلو من

القاهرة حيث تختفي المرتفعات، وتصلح هذه الرقعة للزراعة بسبب الرواسب النيلية التي تكونت منها، ويقل بالدلتا مسافة ومقدار الانحدار، وتقل عمليات المد والجـــذر حيث لا يتعدَّى منسوب المد والجذر على شطآن الدلتا بحوالي ٥٠ سم فقط ممَّا كان سببًا في خصوبة الدلتا ونحوها بمقدار ١٢ قدم سنويًا، وممَّا جعل الدلتا على شـــكل مثلث كما كان سببًا في تعدُّد الجُزر خصوصًا عند مدينة بلطيم بكفر الشيخ.

وتُعد مساحة الدلتا المثلثية حيث يصل طولها من الجنوب إلى الشمال ١٧٠ كـــم وقاعدتها على البحر المتوسط تبلغ ٢٢٠ كم٢، وتصل مساحة الدلتا الإجمالية إلـــى ٢٢ ألف كيلو متر .. ويذكر العلماء أنَّ سبب اختفاء الفروع النيلية الســـبعة التـــي كانت تمر وتتفرَّع عند الدلتا بسبب كثرة الرواسب النيلية على الدلتا ممَّا كان سبب في ارتفاع أرض الدلتا وجفاف هذه الفروع السبعة كما ذكر ســـترابون أنَّ اختفـــاء الفروع الشرقية للنيل كان بسببه إهمال حفر هذه الفروع وعدم العناية بهـــا بســـبب الانشغال بالحروب والغزوات،وبسبب نمو الحشائش وانخفاض منسوب النيل وقلـــة الفيضان، وبسبب تراجع النهر .. وقد أكد ذلك وجود خط من الطمـــي بطـــول ٢٤ كيلو متر داخل البحر الأبيض المتوسط تحت سطح قاع هذا البحر.

كما كانت كل هذه الأسباب كما ذكرنا سبب في تكوين عدَّة جُزر، وكذلك وادي الطميلات في وسط الدلتا والذي يصل طوله إلى أكثر من ٢٥ كيلو متر وبعرض ٧ كيلو متر، وكذلك وجود بحيرة التمساح .. وممَّا كان سبب في تكوين العديـــد مـــن البحيرات الشمالية، وتُعد أكبر بحيرات الدلتا بحيرة «المنزلة»، حيث يصل طولهـــا إلى ٤٧ كم وعرضها ٣٠ كم، كما تنتشر على جانبي هذه البحيرة مجموعـــة مـــن الخلجان والبرك والسهول الطينية التي سهلت حفر قناة السويس بعد ذلك، وتصـــل مساحة بحيرة المنزلة إلى ٣٢٦,٨٤٠ فدان، وقد تعرَّضت هذه البحيرة للانكمـــاش بسبب عمليات الردم المتكررة.

كما تعد بحيرة «البرلس» التي تشبه المستطيل الذي يمتد من الشمال إلى الشرق بطول ٥٦ كم، وتصل مساحتها إلى ١٣٦,٧٣٠ فدان، ويحجز بحيرة البرلس عن البحر حاجز مرتفع، ويوجد بها أكثر من ٧٣ جزيرة تزيد مساحتها عن ٢٨٦٠ فدان.

كما تعد بحيرة إدكو التي تقع غرب فرع رشيد والتي تصل مساحتها إلى ٣٣,٦٤٠ فدان وهي تشبه المستطيل، وهي تخلو من البرك والمستنقعات وهي ذات جسور صناعية وبها عدَّة جُزر تصل إلى ٨٠ جزيرة.

الدلتا على مرِّ الزمان:

تغيَّرت قمَّة الدلتا من زمن إلى آخر وذلك لأنَّ النيل يسير في حرية تامة حتى أنه كان قديمًا يسير ويتفرَّع إلى سبعة فروع وهي الفروع التي مازالت موجودة على الخرائط، وكان بعضها يوجد اليوم بأسماء أخرى، وقد اختفى البعض بسبب الجفاف، وكانت هذه الفروع التي تتفرع من قمَّة الدلتا:

١ ـ منف　　٢ ـ المنهى　　٣ ـ الفيوم　　٤ ـ سخا

٥ ـ دمياط　　٦ ـ الإسكندرية　　٧ ـ سردوس

فمازال فرع دمياط يوجد إلى اليوم، ومازال فرع الإسكندرية يوجد إلى اليوم - وهو المعروف اليوم باسم فرع رشيد - ويذكر الأستاذ الدكتور إبراهيم زرقانة أستاذ التاريخ بجامعة الإسكندرية أنَّ الدلتا قد تغيَّرت قمتها وتشكلها من عصر إلى آخر، ويذكر أن بداية الدلتا في العهد المملوكي كانت عند مدينة منفيس، وهي المعروفة اليوم باسم مدينة «ميت رهينة»، ثم تغيَّر مجرى النيل إلى جهة الشمال في عهد الدولة الحديثة، فكانت بداية قمَّة الدلتا عند مدينة القاهرة والتي كانت تُسمَّى قديمًا «خرى محا»، وكان فرع دمياط يبدأ من عند هذه القمَّة .. أمَّا في العهد القديم يذكر بطليموس أنَّ قمَّة الدلتا كانت تبدأ عند مدينة «روض الفرج» الحالية، ويذكر

أنَّ ذلك كان في زمن ما قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام .. وذكر ابن عبد الحكم أنَّ الدلتا كانت قمتها تبدأ قبل ذلك، وأنه كان يتفرَّع منها سبعة فروع، اثنان منها في صعيد مصر، وذكر أنَّ الفرعين هما «الفيوم ــ المنهى»، وقد شهدت قمَّة الدلتا عدة تغيرات عديدة، وأنَّ من هذه التغيرات أنها كانت تبدأ عند مدينة «سرودس» في عهد الفتح الإسلامي.

ويذكر سيرابيون أنَّ الدلتا كانت قديمًا مكوَّنة من أربع قمم وذكرها:

١ ــ جنوب منف عند أهرام يوسف بالقرب من الفيوم حيث كان يتجه من هناك فرع منف إلى مدينة الإسكندرية.

٢ ــ قمَّة أسفل مصر، وكان يخرج من هذه القمَّة خليجان إلى مدينة سرودس والآخر إلى قمَّة الفرما، وكان فرع الفرما يُسمَّى عمود النيل، وقد ذكر هيرودس هذه القمَّة في وصف مصر.

٣ــ كانت هذه القمَّة تبدأ عند مدينة سرودس كما ذكرها ابن سرابيون، وكان يخرج منها خليج يصب أسفل مدينة الإسكندرية، وكان الخليج الآخر يصب في فرع دمياط عند بداية «شطانوف»، وكانت هذه القمَّة يبدأ منها ثلاثة فروع هما:

١ ــ فرع بحر كاسوروس ٢ ــ الفرع البيلوزي ٣ ــ الفرع الكانوبي

وكان أكبر هذه الفروع يمر من وسط الدلتا ويُسمَّى هذا الفرع «السبيتى» وكان يتفرَّع من هذا الفرع فرعان هما:

«المنديس ــ والسايس»، وقيل أنَّ هذين الفرعين قد حفرهما الإنسان، وأنهما ليسا طبيعيان، وقيل أنهما الفرعان «البوكولي ــ والبورلبت» .. وقد أكد أرسطو وديودور الصقلي أنَّ هذين الفرعين طبيعيَّين .. وذكر ديودور الصقلي أنَّ هذين

الفرعين كان يلتقيان في فرع واحد وهو الفرع «القانتيستي»، وإن كان بطليموس ذكر عكس ذلك.

اتفاقيات النيل:

بعد تدخُّل الدول الأوربية في شئون بعض البلاد الإفريقية في منتصف القرن التاسع عشر كان لابدَّ أن تؤمِّن مصر مواردها المائية خصوصًا بعد تطبيق نظام الري المستديم في مصر، خصوصًا أنَّ بريطانيا قد وضعت يدها على أكثر من ٦٤٠,٠٠٠ كيلو متر حتى عام ١٨٧٥ على دخل بلاد القارة الأفريقية رغم تصدِّي هذه البلاد لها مثل أوغندا وغنيا والجابون والبلاد الأخرى بعد السيطرة عليها واستعمارها، فكان لابدَّ من عقد عدة اتفاقيات مع العديد من الدول التي يمر عليها نهر النيل.

١ ــ اتفاقية بريطانيا وإيطاليا

اتفقت كلٌّ من هذه الدول (النيلية) مع كلتا الدولتين على عدم إقامة أي إنشاءات ري جديدة على نهر عطبرة يكون الهدف منها تعديل وتغيير مياه النيل، وكان هذا الاتفاق ١٥ أبريل عام ١٨٩١ م، وقد جُدِّد هذا الاتفاق عام ١٩٠١ م، كما حدَّد في هذا الاتفاق حدود دولة السوادن.

٢ ــ اتفاق بريطانيا وأثيوبيا

كان هذا الاتفاق في ١٥ مايو عام ١٩٠٢ م، وكان قد حُرِّر بين بريطانيا وملك الحبشة، والذي تعهَّد فيه كل طرف بعدم إقامة أي إنشاءات على النيل الأزرق أو نهر السوباط أو أي مشروعات تعوق مجرى النيل إلاَّ بعد موافقة الحكومة البريطانية والسودانية، وكانت كلُّ هذه الاتفاقيات الهدف منها عدم إقامة السدود والخزانات على النيل لتضيع كميات المياه ولا تستفيد منها الدول الأخرى مثل

مصر، ويُقدَّر تصريف المياه الأثيوبية بحوالي ٩٠ بليون متر مكعب من المياه يدخل النهر النيل منها ٧٠ بليون فقط والباقي يضيع وسط الغابات ولا يُستفاد منه.

٣ ــ اتفاقية بريطانيا وفرنسا

تم توقيع هذا الاتفاق في ١٢ ديسمبر من عام ١٩٠٦م بين كل من بريطانيا وفرنسا ودولة الحبشة، وذلك على أنَّ تتعهد كل دولة من الدول الثلاثة بالمحافظة على مياه النيل حتى يمكن وصول القدر المناسب إلى النيل الأزرق وروافده في مصر ليكون هذا هدفه استفادة جميع الدول التي يمر من خلالها النيل.

٤ ــ اتفاق الكونغو وملك بريطانيا

كان هذا الاتفاق بين جلالة الملك «ليوبولد الثاني» ملك الكنغو وبين صاحب الجلالة «إدوارد السابع» ملك بريطانيا وأيرلندا وبلاد ما وراء البحار والهند.

وقد تم توقيع هذا الاتفاق في ١٢ مايو عام ١٩٠٦م لتعديل بنود الاتفاق الذي تمَّ بينهم عام ١٨٩٤م، وذلك بفرض زيادة السيطرة والنفوذ البريطاني على مياه النيل وذلك بسبب ضعف السيطرة الأثيوبية على مياه النيل بغرض زراعة مساحة كبيرة من القطن في مصر لمصلحة الحكومة البريطانية، وقد تم تعديل هذا الاتفاق عام ١٩٢٥ بين كل من دولة مصر والسودان والصومال وأثيوبيا.

٥ ــ اتفاق خزان أوين

كان هذا الاتفاق الوحيد التي استطاعت مصر من خلاله إنشاء خزان شلالات أوين بعد أن اتفقت مع أوغندا وجميع بلاد حوض النيل، وكان ذلك عام ١٩٥٤م وذلك بهدف توليد الكهرباء ولزيادة كميات المياه الاحتياطية ببحيرة فيكتوريا على أن تتحمَّل الحكومة المصرية تكاليف إقامة هذا الخزان.

٦ ــ اتفاقيات مصر والسودان

بعد إدخال حكومة السودان زراعة محصول القطن داخل السودان بمساحة تُقدَّر ١٠,٠٠٠ فدان ومحاولتها زيادة هذه الرقعة عام ١٩٠٩م بحوالي ٢٠,٠٠٠ فدان تم الاتفاق بين الحكومة المصرية والسودان لاستخدام مياه الفيضان من النيل الأزرق، وكان خلال مواسم الفيضان والتي تبدأ في منتصف مايو إلى شهر فبراير، وذلك للاستفادة من المياه المفقودة والتي تُقدَّر بحوالي ٣٤ بليون متر مكعب من المياه، وقد طلبت بريطانيا لفض هذا النزاع عام ١٩٢٤م، وفي عام ١٩٥٩م تمَّ الاتفاق بين مصر والسودان على إقامة بناء السَّد العالي على أن تُقسَّم كمية هذه المياه بين كل من مصر والسودان، وليكون نصيب مصر يُقدَّر بحوالي ٥٥,٥ مليون متر مكعب، ونصيب السودان ١٨ مليار متر مُكعَّب من الماء، ومازال العمل بهذه الاتفاقية ساريًا إلى اليوم، وتم إصدار قانون عام ١٩٦٦م يتكون من ٤٤ مادة لتسوية كل هذه الخلافات بين دولة مصر والسودان وباقي دول حوض النيل، وقد تمَّ توقيع هذا الاتفاق بمدينة «هلسنكي»، وفي عام ١٩٧٦م صدر اتفاق جميع دول حوض النيل على عدم وصول أي قطرة من مياه النيل إلى أي بلاد أخرى، كما صدر عام ١٩٨٠م، أعلنت مصر احتجاجها على إعلان توصيل فرع من فروع النيل إلى إسرائيل وذلك بعد عقب عقد اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل وقامت مصر بعد ذلك بحفر ترعة السلام بطول ٢٥ كيلو متر والتي تبدأ عند فارسكور، وتمر بمدينة بورسعيد والاسماعيلية، وتمر من تحت قناة السويس عن طريق سحارة وذلك لتوصيل مياه النيل إلى أرض سيناء دون توصيلها إلى إسرائيل.

ولكن السؤال:

مازالت إسرائيل تحاول تحميل دول حوض النيل بالديون مع الدول الصديقة لها ليكون هذا سبب في الضغط على هذه الدول بالموافقة على امتداد ترعة السلام إلى

إسرائيل خصوصًا أنها الدولة الأولى التي تسعى لتمويل الخلاف بين طوائف السودان لتعطيل مشروع قناة جونجلي كما يحدث في إقليم دارفور.

محافظات يمر بها النيل:

١ ــ محافظة أسوان

تُعد محافظة أسوان هي البوابة الأولى التي يدخل من خلالها النيل مصر عند قرية ادندان، وكانت أسوان تُسمَّى قديمًا «سونو»، وكانت لها أهمية كبيرة في الماضي حيث كانت تُعد من أهم محطات القوافل التجارية القادمة من بلاد النوبة، وقد سميت قديمًا «سانو» ومعناها السوق التجاري، وكانت تُسمَّى في عهد الإغريق «سيين»، ثم صرفت بعد ذلك إلى أسوان، وهي تقع جنوب وادي النيل، ويحدها قنا من الشمال ودولة السودان من الجنوب، ومساحتها ٦٧٨,٥ كم٢ وعيدها القومى ١٥/١/١٩٧١م بمناسبة بناء السَّد العالي، وبها عدَّة أماكن هامة: السَّد العالي، خزان أسوان، بحيرة ناصر، حديقة النباتات، مقابر النبلاء، جزيرة فيلة، معبد كوم امبو، معبد إدفو، معبد كلابشة، معبد أبي سنبل .. ومن أشهر أبنائها العقاد والشيخ صالح الجعفري..

٢ ــ محافظة قنا

سُمِّيت بهذا الاسم في العصور الإسلامية وكانت تُسمَّى قبل ذلك «كانو» خصوصًا في العصر الروماني، يحدها من الشمال سوهاج ومن الجنوب أسوان ومن الشرق الصحراء الشرقية ومن الغرب الهضبة الغربية ومحافظة الوادي الجديد، وتصل مساحتها ١٨٥٠كم٢، وعيدها القومي ٣ مارس بمناسبة تصدّي أهلها في قرية البارودي للحملة الفرنسية .. وأهم المدن هي «قنا ــ إسنا ــ أرمنت ــ الأقصر ــ نجع حمادي ــ دشنا ــ فرشوط ــ أبو شتيت»، وهي أول محافظة في إنتاج سكر القصب لكثرة زراعته بها، وأهم معالمها معبد الرمسيوم، معبد الدير البحري، معبد

دندره، معبد الأقصر، معابد الكرنك، قناطر إسنا .. وأشهر أبنائها سيدى إبــراهيم الفيق والحجاج الأقصري وسيدي عبد الرحيم القناوي.

٣ ـ محافظة سوهاج

كانت تُسمَّى قديمًا «سوهي»، ويحدها من الشمال محافظة أسيوط ومن الجنــوب قنا ومن الشرق الهضبة الشرقية ومن الغرب الهضبة الغربية، ومساحتها ٥٧٤كم٢، وعيدها السنوي ١٠ ابريل بمناسبة تصدِّي أهلها للحملة الفرنســية، وأهــم المــدن «أبيدوس» التي أسَّسها الملك مينا ومدينة المنشأة والبلينــا وإخمــيم ودار الســلام وجرجا، وأهم الآثار الموجودة بها معبد رمسيس الثاني الذي سجَّل علــى جدرانــه انتصارته في معركة قادش، ومعبد الإله أزوريس الذي بناه ســيتي الأول ومعبــد «ختي» وبعض آثار بطليموس ومسجد السلطان حسن، وأهم أبنائها الشيخ مصطفى المراغي وذو النون المصري مؤسسي علم التصوُّف.

٤ ـ محافظة أسيوط

هي عاصمة الصعيد، وكانت تُسمَّى قــديمًا «ســيوط»، وقــد أقامهــا القــدماء المصريون على ضفاف النيل، وكانت تُسمَّى قديمًا «ســاوات»، ومعناهــا باللغــة القديمة «الحارس» .. يجاورها المنيا وسوهاج والبحر الأحمر والهضبة الشــرقية، ومساحتها ١٥٥٣ كم٢، وعيدها السنوي ١٨ أبريل بمناسبة تصدِّي أهلهــا للحملــة الفرنسية عام ١٧٩٩م، وأهم المدن هي «ديروط ـ القوصية ـ منفلوط ـ أســيوط ـ أبوتيج ـ صدفا ـ الغنايم ـ أبنوب ـ ساحل سليم الفتح ـ البداري»، وبها أكثر من ٣٢٦ قرية، وأهم معالمها: دير المحروقة، دير الجبراوي، مسجد الإمام جــلال الدين السيوطي، المسجد الأموي .. وأهم أبنائها الســيد عمــر مكــرم، مصــطفى المنفلوطي، جمال عبد الناصر، الشيخ الباقوري، والشاعر محمود حسن إسماعيل، والإمام جلال الدين السيوطي.

٥ ـ المنيا

كانت تُسمَّى قديمًا «منف خوفو» ومعناها «مرضعة خوفو»، وكانت تُسمَّى قبل ذلك «تحوتي»، ثم سميت بعد ذلك بـ«منية الخصيب» صاحب الخراج في عهد هارون الرشيد .. تجاورها محافظات بني سويف وأسيوط والوادي الجديد والهضبة الشرقية والبحر الأحمر، ومساحتها ٢٢٦١,٧ كم٢، وعيدها القومي بسبب تصدِّي أهلها للإنجليز عام ١٩١٩م، وأهم مدنها «مغاغة، العدوة، دير مواس، بني مزار، سمالوط، أبو قرقاص، ملوي .. وأهم المعالم الموجودة بها مقبرة خنوم حتب الثاني، ومعبد ستي الأول، وتل العمارنة .. وآثاره الخالدة مسجد عبادة بن الصامت .. وأهم أبنائها عبد الحكيم عامر وطه حسين.

٦ ـ بني سويف

كانت تُسمَّى قديمًا «أبو فيا»، وبعد الفتح العربي لها سُميت «منفسوية»، ثم سُميت بعد ذلك بني سويف، وهذ الاسم قد أُطلق عليها منذ القرن السادس عشر الميلادي وهي تقع في جانب النيل، ويجاورها محافظات الجيزة والمنيا والبحر الاحمر والفيوم، ومساحتها ١٣٢١,٧كم٢، وعيدها القومي في شهر مارس بسبب تصدِّي أهلها للاحتلال البريطاني عام ١٩١٩م، وكان لأهلها دور كبير في ثورة ١٩١٩م والثورة العرابية، وأهم مدنها: الواسطة، ومركز ناصر، وبني سويف، وأهناسيا، والفشن .. وأهم الآثار الموجودة بها: ديرسدمنت ودير الأنبايولا ومقبرة مروان الثاني .. هرم ميدوم وبعض آثار سنفرو.

٧ ـ الفيوم

يقال أنها سُميت نسبة إلى الألف يوم التي كان يحتاجها سيدنا يوسف عليه السلام لحفر بحر يوسف الذي حفره في سبعين يوم فقط، وتصل مساحتها ١٨٢٧كم٢، وعيدها السنوي في شهر مارس بسبب تصدِّي أهلها للانجليز عام ١٩١٩م، وأهم المدن

الموجودة بها الفيوم ــ سنوبس ــ طامية ــ أبشواي ــ أطسا .. والآثار الموجــودة بها بحيرة قارون وهرم اللاهون وسواقي الفيوم وهرم هوارة الذي بناه سنوســرت الأول ومعبد أبو ماضي و قصر قارون والقصر الروماني ومسجد قايتباي.

٨ ــ الجيزة

ومعناها الجانب أو الناحية، وهو الجانب التي اجتازه العرب عند دخول مصــر من النيل إلى الفسطاط، ومساحتها ١٠٥٨كم٢، وتحتفل بالعيد السنوى ٢١ مــارس بمناسبة مشاركة أهلها في التصدّي للانجليز عام ١٩١٩م، وكانت قديمًا ثلاث مدن فقط هي: بن سليم، منف، أطفيح .. وكانت عاصمة الملك مينا الجدار الأبــيض .. وأهم المدن الحالية: الجيزة ــ البدرشين ــ الصف ــ إمبابة ــ العياط ــ أطفيح .. وأهم الآثار الموجودة بها: أهرام الجيزة، أبو الهول، المركب الجنــائزي، أهــرام دهشور، الهرم المدرج بسقارة، آثار ميت رهينة، حديقة حيوان الجيــزة .. وأهــم أبنائها عبد الرحمن عزّام أول رئيس لجماعة الدول العربية.

٩ ــ القاهــرة

بناها جوهر الصقلى في عصر الفاطميِّين بعد أن حدَّد له رجال الملك الكواكــب والنجوم، وكان مكانها هو مكان كوكب السعد في السماء وقت بنائها، وكانت مــن أسماؤها القديمة: الفسطاط، والمنصورية، والقطائع .. ومســاحتها ٣٥٢,٩ كــم٢، وأهم الأحداث التي جرت على أرضها مذبحة القلعة في عهد محمد علي باشا، ثورة ١٩١٩م، الثورة العرابية، حريق القاهرة عام ١٩٥٢م، معاهــدة الجــلاء .. وبهــا العديد من المتاحف والقصور والآثار الدينية الإســلامية والرومانيــة واليونانيــة، وأنجبت العديد من الأعلام.

١٠ ــ القليوبية

سُميت بهذا الاسم نسبة إلى عاصمتها القديمة قليوب، وكانت تُسمَّى بهذا الاسم منذ السلطان ناصر محمد بن قلاون الذي نقل العاصمة منها إلى مدينة بنها في زمن المقوقس حاكم مصر قبل الفتح الإسلامي والذي أرسل إلى رسول الله بعض الهدايا من مصر مثل عسل النحل، وتمتاز بكثرة الحدائق بها، ومساحتها ١٠٠١ كم٢، وكانت عون لأحمس في رد الهكسوس وصد الحملة الصليبية، وأهم المدن طوخ ــ قيلوب ــ بنها ــ شبرا الخيمة ــ كفر شكر ــ الخانكة ــ شبين القناطر .. وبها مقبرة الملك «تلخوتي» أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين.

١١ ــ محافظة البحيرة

معناها تصغير لكلمة «بحر»، وذلك لوجود عدد كبير من البحيرات بها، وهي تقع غرب فرع رشيد أحد فروع النيل، ومساحتها ١٠٢٠٠١٩,٥ كم٢، وبها مدينة الإله حور، وهي أقدم المدن الفرعونية، وبها عدة كنائس، وأهم الأحداث التي جرت على أرضها حملة رشيد واكتشاف حجر رشيد بها عام ١٧٩٩م وحملة فريز عام ١٨٣٠م، وأهم المدن: دمنهور ــ الرحمانية ــ كفر الدوار ــ إيتاي البارود ــ أبو المطامير ــ الدلنجات ــ أبو حمص ــ رشيد ــ أدكو ــ وادي النطرون .. بها عدة آثار ترجع إلى عهد الأسرة السادسة والعشرين وآثار لرمسيس الثاني.

١٢ ــ الدقهلية

عُرفت بهذا الاسم منذ عهد الدولة الفاطمية وهي تقع في شمال الدلتا، يمر النيل منها بمدينة المنصورة ومدينة طلخا، ومساحتها ٣٤٠٧,٩ كم٢، وعيدها السنوي ٧ مايو بمناسبة الانتصار على الصليبين وأسر لويس التاسع ملك فرنسا عام ١٢٥٠م، وقد دفعت زوجته الجزية عنه، وأهم المدن: المنصورة ــ طلخا ــ المنزلة ــ ميت غمر ــ أجا ــ السنبلاوين ــ شربين ــ بلقاس ــ دكرنس ــ منية النصر .. وبها

العديد من مصانع الزيوت والصابون والأسـمدة ومصـنع الألمونيـوم ومصـيف جمصة .. وأهم أبنائها السيدة أم كلثوم ــ علي مبارك ــ أحمـد لطفـي السـيد ــ محمد حسين هيكل ــ أحمد حسن الزيات ــ الشاعر صالح جودت.

١٣ ــ محافظة الغربية

سُميت بهذا الاسم منذ عهد الفاطميِّين، وكانت عاصمتها قـديمًا مدينـة المحلـة الكبرى حتى عام ١٨٣٦م، ولكنها نقلت إلى مدينة طنطا، وكانـت تُسـمَّى قـديمًا «تناسو»، وفي زمن الإغريق كانت تُسمَّى «تانتنيا»، وفي عهد الرومان «طنتثاء»، ويجري بها النيل عند مدينة زفتى وسمنود، ومساحتها ١٩٤٢كم٢، وبهـا شـركة مصر للغزل والنسيج بالمحلة الكبرى والعديد من المصانع وقناطر دهتوره وآثـار سمنود وآثار بسيون وصان الحجر، وعيدها القومي ٧ من شـهر أكتـوبر بسـبب التصدِّي للحملة الفرنسية .. أهم المدن: طنطا ــ المحلة الكبرى ــ سمنود ــ زفتى ــ السنطة ــ بسيون ــ قطور ــ كفر الزيات.

١٤ ــ محافظة دمياط

ورد ذكرها في التوارة المقدسة «كفتورة»، وكانت تُسمَّى في العهد الفرعونى « تاميت» أو «تم أتي»، ومعناها «بلدة المياه»، وعرفت في زمـن الرومـان باسـم «تامياتش»، وهي تقع شمال الدلتا، ويمر بها فرع النيل فرع دمياط، وعيدها القومي ٨ مايو بسبب تصدِّي أهلها للغزو الصيلبى عام ١٢٥٠م، ومساحتها ٥٨٩كم٢، وأهم المدن: دمياط ــ رأس البر ــ فارسكو ــ كفر سعد ــ الزرقـا ــ مدينـة عزبـة البرج .. وهي تشتهر بصناعة الأثاث والحلوى وصناعة الألبان وتعليب السردين.

الفصل الثاني

النيل في السودان وبلاد حوض النيل

النيل في السودان

١ – **بحر الجبل:** يصل طول النيل داخل الأراضي السودانية ١٨٨٥ كم، والنيل في السودان يُمثل عصب الحياة كما هو في مصر وأكثر، وذلك لأن دولة السودان تعتمد اعتمادًا كليًا على الزراعة ولا مصدر لها إلاَّ نهر النيل.

ودولة السودان تُمثل حوالي ٤٧,٥ % وحدها من مساحة دول حوض النيل عند نهر العطبرة والسوباط والنيل الأزرق وعند هضبة البحيرات والاستوائية عند منطقة بحر الجبل.

كما أنَّ النيل يدخل السودان عند مدينة نيمولي، وهذه المدينة من أهم خصائصها الانحدار الاستوائي، حيث إنَّ النيل قبل هذه المنطقة يُسمَّى «نيل ألبرت»، ويصل طوله من هذا المكان ١٢٨٠ كم، ويطلق على هذه المسافة منطقة «بو الجبل»، وينقسم خلال هذه المسافة إلى ثلاثة أقسام:

١ – ما بين ألبرت وإلى نيمولي ويصل طوله ٣١٦ كم، ويصل انحدارة في هذه المسافة إلى عشرة أمتار.

٢ – ومن نيمولي إلى غندكرو، ويصل طول هذه المسافة إلى ١٥٦ كم، وتمتد هذه المسافة بقلّة الانحدارالذى يساوي ١ : ١٠٩٢

إذ يُعد هذا الانحدار أكثر من المسافة الأولى، وذلك بسبب النحوت الصخرية التي تتأثَّر بها شواطئه خلال هذه المسافة، ويمر خلال هذه المسافة بخمس مساقط مائية من الجنوب إلى الشمال.

إلى أن يصل إلى قرية الرجاف ثم يصل إلى عدّة شلاّلات أهمها شلال «خولا» التي تنحدر مياهها إلى حوالي ١٢ مترًا.

٣ – والمسافة الثالثة من غندكرو إلى بحيرة «نو»، وفيها يلتقي بحر الجبل ببحـــر الغزال بعد طول مسافة تُقدَّر بحوالي ٧٩٤ كم، وهنا يتحوّل النهر إلى نهر سهلي، وذلك بسبب قلّة الانحدار ممّا كان ذلك بسبب في تكوين المستنقعات والتي تـــزداد عند منطقتي غندكرو ومينة بور، وتصل مساحتها ٧٠٠٠ كم٢، ومستنقعة الكنيسة بمساحة تُقدَّر ١٤,٠٠٠ كم٢.. ومستنقعه غابة شابي ومســـاحتها ٢,٠٠٠,١ كـــم٢، ومستنقعة أدوك وتصل مساحتها إلى ٢٧،٠٠١كم٢.

وبعد بحيرة بور المتصلة ببحر الجبل يصل هذا الفرع إلى عدة فروع أهمها مـــا يُعرف بـــ«نهر الأتم»، ثم تتجمع هذه الفروع في مجرى مائي واحد يعرف باســـم «غابي شابي» والذي يتكون عندها عدة مستنقعات أهمها مستنقع الزراق بالقرب من نهر السوباط، وتُسمَّى هذه المنطقة من بحر الجبل بمنطقة السدود وهي من غابـــة شابي إلى بحيرة نواسم .. وقد تكوّنت خلالها العديد من المسنتقعات بسبب ارتفـــاع نسبة الفيضانات السنوية، وهذه المسافة يظهر فيها نبات البوص .. وأمّا الصـــوف والعمبع، ويمر من نهاية بحر الجبل حوالي ٣٠٠ متر مكعب من ماء النيل خـــلال الثانية الواحدة .. شرق بحيرة «نو»، وتعد هذه النسبة من الماء أغلبها ماء مفقـــود ممّا دفع الحكومات العربية إلى المساهمة في إقامة مشروع قناة جوجلي منذ ما بعد ثورة ١٩٥٢م في عهد جمال عبدالناصر، وإن كان هذا المشروع قد توقّف ما بعـــد عام ١٩٧٠م بعد أن تم تنفيذ ١٤٠ كيلو متر منه، والذي يبلغ طوله ٢٧٠ كيلو متر بسبب الصراعات الطائفية بين أهل الجنوب وأهل الشمال فـــي دولـــة الســـودان، والضّرر الأول لهذه الصراعات هم تعطيل هذا المشروع حتى يمكن أن يُؤثّر ذلـــك على مصر صاحبة الاستفادة من هذا المشروع، وقد أشرنا إلى ذلـــك مـــن قبـــل،

ومازالت البعثة المصرية بأرض مشروع قناة جيوجلي منذ أكثر من ثلاث عقود من الزّمان، ومازال ماء النيل يضيع وسط هذه الغابات.

٢- بحر الزراق

ويجري النيل خلال هذه المسافة من مستنقعات بحرالجبل إلى بحر الزراق عند خط عرض ٧ شمالاً، ثم يتجه صوب الشمال، ويُعد من أهم خصائص بحرالزراق أنه كثير الانحناء والالتواء ممًّا كان السَّبب الكبير في فقد كميات كبيرة من مياه هذا النهر الخالد خلال هذه المسافة.

ويصل طول نهر الزراق حوالي٢٩٠ كم، ينحدر خلال هذه المسافة بنسبة ٣٤،٠٠٠١، ويمر منه حوالي ١٨٠متر مكعب من الماء خلال الثانية الواحدة.

٣- بحر الغزال

يُطلق هذا الاسم على نهر النيل من منطقة مشروع الرق إلى بحيرة نو، وهي عبارة عن مناطق تلتقي في متسع مائي كبير يُسمَّى بحر الغزال .. وأهم هذه الفروع «نهرالحل، نهرالياي، ونهرالمريدي، نهرالتنج» .. ويطلق عليه عند التنج بحيرة عبادي والتي يستمد بحرالغزال منها كافة مياهه، ثم يصب بحرالغزال مياه عند نهايته في عدَّة فروع أهمها فرع «بحر العرب»

٤- نهر السوباط

وهذه المسافة من النيل تلتقي عندالنهر الابيض أوالنيل الأبيض جنوب مدنيه اللاكال، ويستمد بحر السوباط مياه من فروع ثلاثه هي ١- نهر بيور ٢- نهر أكوبو.

٣- أنهار بحيرة رورلف ومنها بارو .. وينفق نهر السوباط حوالي ٨٠٠ متر مكعب من الماء في الثانية الواحدة، وتزداد نسبة الفاقد في الثانية الواحدة، ويصل

طول نهر السوباط حوالي ٤٤ كم حتى نهاية مصبه، ويصل انحدارة إلى حــوالي ١٠٠٠٠٠:٨٠ لكل ٨٠ كيلو متر من طوله.

٥- النيل الأبيض

يُسمَّى نهر النيل عند مصب نهر السوباط بالنيل الأبيض، وهي المسافة من نهر السوباط إلى مدينة الخرطوم عاصمة السودان، ويصل طول هذه المسافة إلى حوالي ٨٤٤ كم، ويصل أغداره خلال هذه المسافة بحوالي ١:٨٠،٠٠٠ متر وهي نفــس نسبة انحدار نهر السوباط، ويُعد النهر الأبيض هو نهاية نهر السوباط وليس بحــر الجبل، لأن السوباط يمده بالرواسب وأغلب مياهه ممًّا جعل هذه الرواســب وهــذه الكميات الكبيرة من الماء أن تنحت الشواطئ على الجانب، ممًّا كان يُســبب فــي ظهور العديد من الوديان .. ومن خصائص النهر الأبيض أن يفقد نسبة عالية مــن مياهه بسبب الصخور المكونة للشطآن، وبسبب نحر نسبة كبيرة من مياه، ويُحــدِّد علماء الرَّي أنَّ مياه النيل تصل من مدينة الملاكال إلى مدينة الخرطوم خلال ثلاث أسابيع، ويصل تصريف النيل الأبيض في شهر أكتوبر من كل عام إلــى حــوالي ١٤٠٠متر مكعب في الثانية الواحدة، وأدنى هذا التصريف يكون في شهر أبريــل، وتصل إلى ٥٥ متر مكعب في الثانية الواحدة.

٦- النيل الأزرق

يبدأ النيل الأزرق عند بحيرة تانا التي تقوم بتجميع المياه العليا للنيــل الأزرق، وهو نفس خصائص بحيرة فيكتوريا والتي تصل بعد ذلك إلى أعالي النيل، وتصل مساحة بحيرة تانا إلى ٣٠٦٠ كم مربع، ويصل ارتفاع منسوب المياه ١٨٤متر فوق سطح البحر، ويصل النيل الأزرق ما بين بحيرة تانا إلى مدينة صوب، ويمر خلال هذه المسافة من إقليم جوجم وهفية الحبيشة يقطع خلالها مدينة الروصيرص بعــد مسافة تصل إلى ٩٨٢ كيلو، وعلى خط عرض ١١،٥١شمالاً.

٧- نهر العطبرة

ياتى نهر العطبرة في المرتبة الثانية بعد النيل الأزرق من حيث الأهمية كمورد مائي إلاَّ أنَّ نهر العطبرة يكون جاف من المياه في بعض فصول السنة بسبب شرب جميع مياهه خصوصًا عند نقصان الفيضان.

٨- النيل النوبي

يُطلق هذا الاسم على النهر عندما يمر النيل من مدينة الخرطوم وحتى يصل إلى مدينة أسوان بمصر، وهي النوبة المصرية عند حلايب وشلاتين والمعروفة بقرية «أرندان المصرية»، ويمر نهر النيل النوبي بأرض رملية الشواطئ، وإن كانت الصخور هي البناء الأساسي بقاع النيل، وهي عند خط عرض٢٢ شمالاً .. ومن خصائص النيل النوبي أنه ينحني انحناءين، وتُشبه هذه الانحناءات حرف «كـا»، ويمتاز النيل النوبى أنه يتسع ممًا كان سبب في قلة الانحدار الذي يصل من ١:٦٨٠٠ كل سبع كيلو مترات ممًا صنع الجنادل الستة، منها واحد في مصر والخمسة الأخرى بدولة السودان

٢- الجندول الثاني جنوب مدينة وادي حلفا.

٣-الجندول الثالث عند بلدة أبو فاطمة بالسودان.

٤- الجندول الرابع بسمنه إلى أبوحمد ومرول ٤٠كم.

٥- الجندول الخامس شمال قرية العبيدية ٦٠كم.

٦- الجندول السادس شمال مدينة الخرطوم إلى وادي رملة٦٠كم.

وتُقدَّر نسبة المياه التي تنساب من النيل النوبي حوالي ٨٤ مليار متر مكعب من الماء في العام الواحد، وتساهم الحبشة بحوالي ٨٤%، والبحيرات الاستوائية بحوالي ١٦% من مياه النيل النوبي.

الاستغلال الزراعي في السودان

١- الجــزيــرة

تُعد الزراعة أكثر الأنشطة السكانية في السودان، وذلك بسبب كثرة اليد العاملــة وخصوبة التربة، وبسبب وفرة المياه، إلاَّ أنَّ خبراء الاقتصاد الزراعي يُقدِّرون أنَّ المستغَل في السودان من الأراضي الزراعيه لايمثل ٩٣% ممًا يجب أن يكون عليه السودان، ويرجع السبب إلى هذا الانخفاض بسبب فقر البلد وعدم توفر رأس المال الذي هو عصب كافة المشروعات في العصر الحديث.

ويُحدِّد الخبراء في هذا المجال أنَّ الأراضي الزراعية في السودان التــي عليــه يمكن استغلالها تُقدَّر بحوالي ٢٠٠ مليون فدان، وهذه المساحة هي ضعف مســاحة مصر..

كما تُقدَّر أنَّ المساحة الزراعية في السودان تصل إلى ٣٣%، وهي نفس المقدار المنزرع في مصر رغم قلَّة الأراضي الزراعية في المنــاطق القابلــة والصــالحة للزراعة .. وتعتمد الزراعة في شمال السودان على المطر وذلك بسبب الفقر الذي يعيش عليه سكان الشمال بسبب عدم القدرة على استخدام أساليب الزراعة الحديثــة من آلات ومعدات .. كما أنَّ الفيضانات التي تصيب مناطق الشمال تكون سبب في القضاء على العديد من المحاصيل الزراعية ممًا كان سبب فــي أن هجــر ســكان الشمال السوداني هذه المناطق ممًا كان سبب في إصابة العديد من آلاف الأفدنة في شمال السودان بالتصحُّر بسبب هذه الهجرة..

أمَّا في منطقة الجور العاشي وهي من أهم المناطق الزراعية بعد شمال السودان والذي مازال أهل هذا الإقليم يعتمدون في الــرَّي علــى الطــرق البدائيــة لــري محاصيلهم .. ومن أهم المحاصيل التي تزرع في منطقة الخور القاسي القطن، كما تُزرع الخضروات وبعض أصناف الفاكهة .. ومن أهم المنــاطق الزراعيــة فــي

السودان منطقة الجزيرة، وهي المنطقة الواقعة بين النيل الأبيض والنيـل الأزرق، وهي تشبه المثلث في الشكل والذي تصل رأسه إلى مدينـة الخرطـوم .. وتُقـدَّر مساحة الجزيرة بحوالي مليون فدان، والدَّورة الزراعية في السودان تكون رباعية، يزرع الفلاح كل في ربع نوع من المحاصيل، ويقوم الفلاح السوداني بزراعة ربع المساحة قطن والربع الآخر ذرة والربع الثالث لوبيا والربع الرابع يُتـرك بـور.. وليس هذا هو الصرف العلمي، ولكن هو ملل من الإنفاق على الأرض الزراعيـة وبسبب كثرة الأرض الزراعية..

وفي عام ١٩٦٢م تم استصلاح حوالي ٨٠٠ ألف فدان، ومن الأماكن الزراعية في السودان أيضًا..

٢- إقليم البطانة

وهذه المنطقة الزراعية تقع بين النيل الأزرق ونهر العطبـرة، وأغلـب هـذه الزراعة على مياه الأمطار بسبب ارتفاع وزيادة نسبة الأمطار..

٣- كردفان

يُعد هذا الإقليم من أهم الأماكن الزراعية في دولة السودان، ولكنه يقوم على ماء الأمطار، وعندما يصاب هذا الإقليم بالجفاف يهجر الفلاحين الأراضي ويتجهـون إلى الرَّعي، ويمتاز هذا الإقليم الزراعي في السودان لأنه أرض رملية..

٤- دار فور

يُعد جبل فرة هو أهم الظواهر التضاريسية لهذا الإقليم ممَّا جعل الأمطار التـي تسقط عليه تكون سبب في زراعة العديد من المحاصيل في هذا الإقليم بالإضـافة إلى الأعشاب التي تنبت وتقوم عليها حرفة الرعي على جانبي سفوح الجبال.

٥- جنوب السودان

تُعد الزراعة التي تزرع في جنوب السودان من الزراعات القليلة غير المنتظمة بسبب صراعات القبائل وفرار سكان الجنوب

أهم المحاصيل الزراعة في السودان:

الذرة ٤١,٤%	الدخان ١٣,١%
الفول السوداني ١٥,٨%	قصب السكر ٨,١%
القمح ٢,٦%	الفاكهة ٥%
الأرز ٠٢%	الخضروات ١%

ومن هنا يظهر لنا أنَّ دولة السودان لم تكن لديها الإمكانيات والموارد المالية لاستغلال هذه الأرض الزراعية الخصبة والمياه العذبة واليد العاملة، إذ إنها لا تُزرع من القمح إلاَّ أقل من ٢,٥% من احتياجات الشعب، وكذلك الأرز، إذ يجب أن تكون هي الدولة الأولى في هذه المحاصيل .. ولذا يجب على الدول العربية التعاون والتكامل من أجل الاكتفاء الذاتي بين شعوب الدول العربية

النيل والحضارة السودانية:

لقد جعل الله عزَّ وجل بهذا النيل من أرض السودان جنة خضراء، وإن كانت السودان لا تستغل أرضها كما يجب، بل أقل ما يكون كما ذكرنا من قبل .. وكلمة السودان كما يقول أهل اللغة العربية مأخوذه من كلمة «سود»، ومعناها «الأرض المستوية»، وأرض السودان أول وأكثر وأكبر أرض عربية من حيث المساحة ومن حيث الخصوبة للزراعة، ولكن الاستعمار قد ترك بها العديد من الصراعات بين طوائف الشعب السوداني ممَّا شغل هذا الشعب بهذه الصراعات فجعلته واحد من أفقر شعوب أهل الأرض جميعًا..

ومن الأمور المفرحة أنَّ هذه الأرض الخصبة يمكن زراعة مليوني فدان بأقل تكاليف ممكنة، خصوصًا على ضفاف النيل الأزرق والنيل الأبيض وبحر الجبل، وعلى ضفاف نهر العطبرة .. وبكل أسف كل هذه المناطق أو أغلبها عبارة عن بعض النباتات والأعشاب التي تنبت طبيعيًا، وقد اكتفى سكان هذه المناطق بالاستفادة من هذه النباتات بالرعي فقط .. ولم يكن هذا القصور في الشمال السوداني فقط، وهي مدينة الخرطوم، بل شاع هذا الكسل إلى وسط السودان، ولم ينجُ الجنوب السوداني من هذا القصور، رغم أنه قد قد أقيمت على أرض السودان حضارة سودانية عريقة منذ آلاف السنين.

وقد تسبَّبت هذه النباتات والأعشاب التي ظهرت على جانبي نهر النيل في السودان – وخصوصًا المستنقعات – ممًا أصبحت تمثل السدود الضحية التي تحكَّمت في عدم اتصال النيل اتصالاً كاملاً من الشمال إلى منابعه في الجنوب، وخصوصًا المناطق التي تنبت فيها نباتات السافانا والغابات الاستوائية ممَّا كان سبب في عدم فضول النهر بالماء وإلى حصر ما يجب أن يصل من خلال هذا النهر الخالد إلى مصر، وللأسف هذه الكميات الطائلة تضيع دون أن يستفيد منها أحد على أرض السودان، كما كانتِ الخرافات سبب في أن هجر العديد من سكان السودان – وخصوصًا الفلاحين – العديد من الأراضي الزراعية بسبب العقائد الفاسدة مثل بعض الأقاويل التي يُردِّدها البعض بأنَّ هذه المناطق مسكونة بالشياطين، حتى أنَّ بعض النباتات في هذه المناطق الخصبة يطلق عليها نبات «رأس الشيطان»، وإن كانت بعض المناطق بها العديد من المحاصيل مثل القطن والتي تصدِّر منه السودان إلى مصر أكثر من ٥٠% ممًا يُزرع بأرض السودان، وذلك بسبب انشاء المصانع التي تقوم بتصنيع القطن، وأغلب أنواع القطن التي تُزرع في السودان قطن يُسمَّى «كلا ريدسي»، وهو يزرع على ماء النيل .. وهناك

نوع آخر وهو المعروف بين أهل السودان بـ«القطن الأمريكي»، ويعتمد النوع الثاني في السودان على ري مياه الأمطار، ويكثر زراعته في منطقة الجزيرة..

ومن أهم الزراعات التي تُزرع في السودان الصَّمغ العربي، إذ إنَّ السودان تنتج حوالي ١٠% من الإنتاج العالمي، وهو من أجود أنواع الصَّمغ .. ومن المحاصيل التي تُزرع في السودان فول الصويا والفول السوداني والكتان والنخيل، وقد عرفت السودان بأشهر بهذه المحاصيل على مرّ مختلف عصور الحضارة السودانية، كما سجَّلت الحضارة السودانية العديد من أنواع الحيوانات التي استأنسها المواطن السوداني واستفاد بها في الزراعة، ومنها الجاموس والبقر والأغنام والحمير وغيرها من الحيوانات الأليفة التي تعيش في السودان، ومن الحيوانات المفترسة والتي تكثر في الغابات والأماكن المهجورة الأفيال والأسود والذئاب وغيرها من الحيوانات المفترسة، بالإضافة إلى الزواحف مثل السلحفاء والحرباء والعقرب والثعابين وغيرها من الزواحف، كما تتمتَّع المياه السودانية بكثرة الأسماك التي يصيدها المواطن السوداني، إلاَّ أنَّ المواطن السوداني لا يبيع الأسماك أبدًا، فهو يصطاد بقدر مايحتاج نفسه أوبقدر مايريد تقديمه هدايا لأقاربه، أمَّا عدا ذلك فقد حرَّم السودانيون بيع الأسماك .. كما كتبت كتب التاريخ القديم والحديث والمعاصر أنَّ أرض السودان كانت عليها حضارة من أعرق الحضارات، وليس الأمر ببعيد، فقد أرسل محمد علي الحملات المتعددة للبحث والتنقيب عن النحاس بأرض السودان وكذلك خام الذهب..

وقد ثبت أنَّ رمسيس الثاني أحد الملوك الفراعنة قد أرسل إلى السودان مثل هذه البعثات من قبل، وأغلب السكان السودانيين يفضلون الترحال، رغم أنَّ الحكومة السودانية أقامت العديد من المساكن الجماعية وقامت بتسليمها إلى بعض القبائل بالإضافة إلى ٤٠ فدان لكلّ مواطن، ورغم ذلك هجرت هذه القبائل هذه المساكن

وهذه الأراضي وفضلوا الانتقال والترحل من مكان إلى مكان .. وأكبرمدن دولة السودان هي الخرطوم وهي العاصمة، وثاني أكبر المُدن هي مدينة أم درمان، إلاَّ أنَّ الطابع العربي والعادات العربية العريقة ما زالت تغلب على سكان السودان جميعًا في المدن، وللعرب والبدوالرحل من عادات الشجاعة والكرم والنجدة وغيرها من العادات العربية الأصيلة، فقد توارث هذا الشعب هذه العادات جيل بعد جيل، والشعب السوداني قريب من الشعب المصري في العادات والتقاليد الأصلية، إذ إنَّ بعض كتب التاريخ تؤكد أنَّ العديد من قبائل السودان هي فروع من القبائل المصرية قد رحلت إلى السودان، سواءً خلال إرسال الحملات العسكرية إلى السودان أو حملات الرعي، أو حملات البحث عن الذَّهب والنحاس .. والعادات المختلفة التي توجد في السودان بكثرة.. ولكن تبقى الروابط بسبب النيل وحسن الجوار بين كلا القطرين..

وأشهر الآلهة التي عبدت قديمًا في زمن الجاهلية في السودان هو الإله «كوش»، وهو المعروف بالخروف والذي عبده أهل النوبة، وقد عُبد هذا الإله في السودان منذ عهد «آمون» أشهر الآلهة المصرية القديمة .. كما كانت السودان قبل الإسلام مُقسَّمة إلى ثلاث مناطق وهي على النحو التالي:

١- مملكة النوباط، وكانت عاصمتها «فرس».

٢- مملكة المترة، وكانت عاصمتها «دنقله».

٣- مملكة علوة، وكانت عاصمتها «سوبا».

السودان والفتح الإسلامي:

وظلَّت السودان على الدِّين المسيحي إلى أنَّ فتحها الصحابي الجليل «عبد الله بن أبي السرح»، وكان ذلك عام ٦٥٠م..

وظلَّت بعد ذلك إلى اليوم على دين الإسلام، وكانت بعض قبائل الجنــوب فــي السودان لم تدخل هذا الدين الحنيف إلى اليوم ممَّا جعل دول الغرب تســتغل هــذا الأمر في إشعال الصراعات بين الشمال والجنوب تحت دعوى الاستقلال، ولم يكن هذا الصراع وليد اليوم، بل ظهر قبل عصرنا هذا في عهد محمد علي باشا عنــدما فتح السودان عام ١٨٢٠م، وأرسل البعثات العسكرية للبحث عــن خــام الــذهب والنحاس كما ذكرنا من قبل، وظلَّ هذا الصراع في عهد محمد علي باشا إلى عهد خلفائه حتى ظهور الثورة المهدية عام ١٨٨١م والتي كان هــدفها هــو تخلــيص السودان من حكم خلفاء محمد علي باشا، والعجيب أنَّ قائد هذه الثورة المصرية كان نجارًا وهو «محمد بن أحمد المهدي»، والذي ادَّعى أنه المهدي المنتظر الذي سوف يُخلِّص السودان من هذا الحكم الظالم .. وقد وُلد محمد المهدي عام ١٨٤٠م، وقــد درس بعض العلوم الدينيَّة، وقد استغل التفاف الكثيرين حوله ممَّا دفع الكثيرين إلى هذه الأمر تحت شعار توحيد العالم الإسلامي، لكن هذه الثورة لم تكن لدى قائــدها الخبرة بما وصلت إليه الأمور التي كانت سبب في عزلة السودان عشرات الســنين وتأخره إلى يومنا هذا رغم انفتاح العالم عليها .. وقــد اســتولى محمــد المهــدى عام٨٨٣م على العديد من المدن السودانية أهمها «كردفان- دارفور- أم درمــان»، ولكن لم يستطع أن يخرج بهذه الثورة خارج بلاد السودان لأن الجيش الانجليــزي استطاع إخماد هذه الثــورة عام ١٨٩٨م بقيادة اللورد «كتشنر»، وقضى هذا اللورد على الثورة المهدية إلى الأبد .. ولم تكن السودان محل اهتمام الجيش الانجليزي إلاَّ أنَّ هذه الثورة جعلت الجيش الانجليزي يُدرك خطورة هذه الثورة التي كــان مــن الممكن أن تنجح وتؤثر على مصر .. وظلَّت السودان منذ الاحتلال الانجليزي لها تابع لدولة مصر إلى ما بعد ثورة ٢٣ يوليو١٩٥٢م، حتى صدر فــي ينــاير مــن

عام١٩٥٦م قرارالاستقلال السوداني، وصدر بعدها أول عملة نقدية خاصة بدولة السودان، ولم يكن لدولة السودان دستور إلى عام ١٩٧٣م

السكان في السودان:

١- السود

ويعيش السكان السود في جنوب السودان، وهم قبائل الزفوج، وأهم هذه القبائل هم «الشيلوك – الدنكا – النويرة- البور – الزاندي»..

٢- شبه السود

ويقيم هذا النوع من السكان السودانيون في مدينة دارفور، وأهم هذه القبائل «الفور – الكنجة – البنجو»..

٣- البدو

ويسكن هذا النوع من السكان على سواحل البحر الأحمر بالسودان، وأشهر القبائل البدوية في السودان قبائل «العبايدة – البشارية»، ويقال أنهم من نسل حام بن سيدنا نوح عليه السلام.

٤- النوبيون

ويسكن هذا النوع من القبائل السودانية فيما بين الشلال الأول وحتى الشلال الرابع، وهم خليط من القبائل العربية والأتراك والسود، وأكثر قبائل النوبة «الدناقلة – الكنوز»..

٥- العرب

وهم أغلب سكان السودان وأشهر القبائل العربية في السودان قبائل «البقارة – الفونج – التعايشة».. والسكان في السودان أنواع كثيرة من شعوب مختلفة، حتى أنَّ البعض قال وبدون مبالغة أنَّ السودان بها أكثر من ٢٠٠ لغة، وهذا دليل على اختلاف القبائل من بقاع الأرض على أرض السودان إلاَّ أنَّ اللغة العربية هي اللغة

الرسمية بين أهل السودان، وإن كان أغلب أهل الجنوب لا يتكلمون اللغة العربيـــة، بل ليسوا على دين الإسلام .. كما أنَّ بعض قبائل الجنوب يعبـــدون إلـــه يُســـمَّى «چوك»، وقد أقاموا له معبدًا يقدمون له خلال هذا المعبد العديـــد مـــن القـــرابين ويُقيمون له العديد من الطقوس الخامته لهذا الإله في هذا المعبد، كما يعبد الـــبعض في السودان إله أخر يُسمَّى «الدنكا»، كما يعبد أهل بعض قبائـــل الجنـــوب البقـــر والأسود والتماسيح ويحرّمون ذبح هذه الحيوانات..

أثيوبيا:

أثيوبيا هي ثالث دول حوض النيل بعد مصـــــر والسودان، وتُعرف أثيوبيا بين الناس «سويسرا أفريقيا»، لأن جميع الجبال والهضاب في هذه البلد خضراء بسبب المطر الغزير .. كما يُطلق عليها البعض «متحف الشهوب» .. وتقع دولة أثيوبيـــا في القارة الأفريقية، وتشرف على البحر الأحمر من ناحية الشمال الشرقي، ويحدها من الشرق والجنوب الصومال، ومن الجنوب كينيا، ومن الشمال والغـــرب دولـــة السودان..

وتصل مساحة أثيوبيا إلى ١٠٠٠٢٣٠كم٢، وأرض أثيوبيا تشبه الهضبة العالية يقسمها الأخدود الأفريقي إلى غرب أثيوبيا وشرق أثيوبيا، وهي تمتاز باعتدال جوها طول العام، وقد زادها النيل جمالاً على جمال، إلاَّ أنَّ فيضان النيل المتكرر تسبب في عزلة الغرب عن الشرق .. ويتفرَّع النيل داخل الأرض الأثيوبية إلى أكثر من ثلاثين فرعًا، خصوصًا عند بحيرة «تانا»، ويوجد بين هذه الفـــروع العديـــد مـــن السهول..

وحياة السكان في دولة أثيوبيا تشبه نفـــس الحياة في الســـودان مـــن الزراعـــة وتربية الحيوان وزراعة الصَّمغ العربي، وتجارة السنط ورعي الحيوانات، ويوجد بأثيوبيا بعض المناجم مثل مناجم الذهب والنحاس والبلاتين والحديـــد والمنجنيـــز

والزنك .. وأشهر المدن هي مدينة «أديس أبابا»، وقد تأسّست هذه المدينة ١٨٨٧م على يد كماليك، ومدينة «هرر»هي ثاني أكبر المدن، وقد أسس هذه المدينة العرب المسلمون عام ١٥٢١م، وتشتهر هذه المدينة بتجارة العاج وزراعة الدخان وتصنيع المنسوجات..

وقد كانت أثيوبيا محل اهتمام العديد من الشعوب على مرّ العصور حتى قيل أنَّ دولة أثيوبيا كانت المدينة المشهورة قديما «سبأ» مملكة بليقس، كما ذكـر القـرآن الكريم، ويستدل بعض المؤرخين على ذلك على وجود نسبة كبيرة بها من الأحجار الكريمة والتي يرجع عصرها إلى عصر سيدنا سليمان ﷺ.

حتى قيل أنَّ مؤسس أثيوبيا هو الملك «منليك الأول» وهو ابن بلقيس ملكة سبأ.

وتذكر كتب التاريخ أنَّ دولة أثيوبيا قد وقعت تحت الحكم الروماني زمن طويل منذ بداية الملك الروماني جستنيان الذي سيطر عليها أثناء حكمه لدولة اليمن والهند وبعض الدول التي تقع على البحر الأحمر..

ثم ظلَّ هذا الأمر إلى أن استولى العثمانيون على أثيوبيا، وظلّت سيطرتهم عليها إلى أن استنجد أهلها بالنصارى من أهل البرتغال عام ١٥٤٣م، ومن أشهر عظماء أثيوبيا الصحابي الجليل الذي هاجر المسلمون إليه بأمر من رسول الله ﷺ في بلاد، الحبشة وهو «أصحمة» المعروف بالنجاشي، والمعروفة بلاده ببلاد الحبشة، وقـد عُرف عنه غاية العدل، وهو أول من صلى عليه رسول الله ﷺ صلاة الغائب عندما وصله خبر موته لِما كان منه من نصرة المسلمين الذين هجروا إليه ورده لداهيـة العرب عمرو بن العاص الذي أرسلت به قريش قبل أن يدخل الإسلام بالهدايا إلـى العبيد، لكنه ردَّه ورد إليه هداياه وقـال له: عندي ينصر الضـعفاء .. وظـل الحكم في أثيوبيا ملكي إلى عام ١٩٧٧ عندما تولّى عليها الكلونيل «منجستو هـيلا مريام» عام ١٩٧٧م رئيس جمهورية أثيوبيا جمهورية ديمقرطية شعيبة، وقد ساعده

على هذا الاستغلال من الاحتلال الإيطالي الاتحاد السوفيتي، وأغلب سكان أثيوبيا على الدين المسيحي، إلاّ أنَّ المسلمين في دولة أثيوبيا يعيشون في شمال البلاد، وهو المكان الذي كان يعيش به النجاشي رضى الله عنه، كما يُطلَق على اليهود الموجودون بأثيوبيا بيهود «الفلاشا»، وهم في المستوطنات الجديدة وذلك لفقر بلادهم ولِما تدفع إليهم إسرئيل من أموال للعيش في هذه المستوطنات غير الشرعية..

أوغندا:

لقد جعل النيل من هذه البلد جنة الله في الأرض، مثلما جعل غيرها، بل زاد جمال النيل في أوغندا وذلك بسبب ما تتمتّع به أوغندا من جبال الثليج والغابات الاستوائية والسهول، ومن أشهر البحيرات التي تجري على أرض أوغندا بحيرة فيكتوريا..

كما أنَّ أوغندا بها أكبر حديقة طبيعية للحيوانات في العالم، إذ تُعد هذه البلد حديقة مفتوحة، ويُعد أشهر جبالها جبال «الرينزوري»، وأشهر البحيرات بها بحيرة ألبرت، وهي من مكونات النيل الأبيض .. وجوها متعبد، إذ معدّل درجة الحرارة فيها نهارًا ٢٩ وفي الليل ١٦، ومساحتها حوالي ٢٣٥٠٠ كم٢، ويقول أهل اللغة أنَّ المعنى لكلمة أوغندا هو الفرد أو المواطن من شعب الباجنا، وهذه البلد من البلاد التي كانت ذات حضارة قديمة .. وتذكر كُتب التاريخ أنها كانت ذات حضارة عريقة حول بحيرة فيكتوريا، وقد أُقيم على هذه البحيرة سد عظيم وهو المعروف سد «أوين»، كما أنَّ أوغندا بها العديد من الشلالات وخصوصا عند مدينة «كيوجا»، والتي أطلق عليها البحارة المصريون بحيرة إبراهيم، وأشهر هذه الشلالات شلال «مر شينرون»..

والسودان تجاور أوغندا من ناحية الشمال الأوغندي، أمَّا شرقها دولة كينيا، ومن الجنوب دولة تنزانيا، ومن الغرب دولة الكنغو..

وأوغندا من الدول التي يكثر بها النباتات الطبيعية مثل السافانا والتي يصل طول البعض منها إلى عشرة أقدام بالاضافة إلى الغابات المدارية، وأشهر المحاصيل الزراعية الرئيسية في هذه البلد «قصب السكر – القطن – البن – الشاي – الأناناس»..

ويوجد في الغابات الأوغندية عدد كبير من الحيوانات المفترسة والحيوانات البرية التي يُربيها السكان في أوغندا مثل «الماشية – الأغنام – الماعز»..

كما أنَّ أوغندا من أشهر الدول في إنتاج الأسماك التي تعيش في الماء العذب..

كما أنَّ هذا البلد به عدد كبير من المعادن الاقتصادية مثل النحاس والقصدير..

وأهم المدن الصناعية في أوغندا هي مدينة «عنتيب»، وهي تقع على بحيرة فيكتوريا من ناحية الغرب، وكانت هي عاصمة أوغندا إلى عام ١٩٦٢م .. أمَّا العاصمة الحالية هي مدينة «كامبالا»، وهذه المدينة بها عدد كبير من الفنادق والمطاعم والحدائق والمتاحف والمسارح والمباني البرلمانية، وتكثر بها الآثار المسيحيَّة.

ومن أهم مدن أوغندا:

مدينه جنجا، ويكثر ببحيراتها التماسيح وأفراس النهر..

وكانت أوغندا قديما بها عدد كبير من الممالك مثل:

١ – مملكة بوجندا

٢ – مملكة بونيورو

٣ – مملكة انكولي

ويُعد المؤسس الاول لهذه البلد هو الملك «بوجندا» ثم الملـك «كنتـو»، وقـد تأسَّست هذه المملكة في القرن الثامن عشر، وكانت تعيش في عزلة إلى أن وصـل العرب المسلمون إليها بحثًا عن العاج والعبيد.

ويُذكر أنَّ العرب المسلمون كان أول وصولهم إلى هذه البلاد كان في عهد الدولة الأموية والعباسية بعد ذلك، ومنذ هذا الوقت ظهر التعـاون بـين هـذه المملكـة والعرب..

وكانت أوغندا محل اهتمام الاستعمار، فقد كلَّفت الحكومة البريطانية أحد الضباط الأكفاء لكشف منابع النيل وهو الضابط «ريتشارد برتون»، وقد صحبه فـي هـذه الرِّحلة الرَّحالة «سبيك»، إلاَّ أنَّ هذا الضابط أصيب بـالمرض ولـم يسـتطع أن يواصل هذه الكشوف إلاَّ أنَّ الرَّحالة الذي كان يرافقه واصل السير في رحلته إلـى أن وصل إلى بحيرة ڤيكتوريا في شهر يوليو من عام ١٨٥٨م، ويذكر أنه أول من اكتشف هذه البحيرة، وكان ذلك في عهد الملك «موتيسا الأول»..

وكانت هذه الكشوف سبب في التعرف على أهمية هذه البلاد ممَّا جعل العديد من الدول الأوربية تتنافس على استعمار أوغندا، وأهم هذه الدول فرنسا – بريطانيا – ألمانيا – بلچيكا .. وحاول كل منها أن يدخل أوغندا تحت شعار «كشـف منـابع النيل»..

وكانت مصر لها العديد من القوات بأوغندا لكشف منابع النيـل، وقـد أقنعـت بريطانيا مصر بسحب قواتها المصرية من أوغندا، ثم فرضت بريطانيا سـيطرتها على هذه البلد وأعلنتها محمية طبيعية بناءً على المعاهدة التي أقامتهـا مـع ملـك أوغندا وقتئذ وهو الملك «موانجا»، وكان ذلك عام ١٨٩٤م، ثـم قامـت السُّـلطة البريطانية بطرد هذا الملك إلى جزيرة سيشل، فظل بها إلى أن مات عـام ١٩٠٣م

بعد سبع سنوات من المنفى، وتولى الحكم في البلاد بعد هـذا الملـك ابنـه «واودي شوا»، ولم يظل حكمه في هذه البلاد إلاَّ عام واحد فقط.

وظلَّت هذه البلاد تحت الاحتلال البريطاني إلى عـام ١٩٦٢م، ثـم كـان الاستقلال عن بريطانيا بعد سبعين عامًا من الاحتلال.

ثم تحولت بعد هذا الاحتلال من النظام الملكي إلى النظام الجمهوري، وهو نظام الحكم الساري فيها إلى يومنا هذا.

وكان أول من تولَّى الحكم الجمهورى بها هو الـرئيس «أبولـو ميلتـون أوبوتي»، إلى أن قام الجيش الأوغندى بانقلاب، وتولَّى قائد الجيش الأوغندي الحكم لمدة تسع سنوات من عام ١٩٧١م إلى عام ١٩٨٠م، وهو القائد «عيدي أمين دادا» الذي غادر البلاد بعد ذلك، ثم أعيد الرئيس السابق إلى الحكم بعـد مساعدة دولة تنزانيا/ وظل أبوتي يحكم البلاد من جديد لمدة خمس سنوات إلى أن قام أحد الجنرالات العسكرية بثورة ضده، وتولَّى بعـده الحكـم الجنـرال «يوين موسوفين».. وأغلب سكان أوغندا من:

١ – العرب ٢ – الهنود ٣ – البريطانيون

وأشهر اللغات في هذه البلاد لغه «البانتو»، وهي منتشرة في الشمال.

ومن اللغات المنتشرة هناك لغة «اللوتور» ولغة «البانيا كولي» ولغـة «الباكونجو» ولغة «الروندي»..

وكان أهل أوغندا يعبدون الأصنام وأشهرها الإله «بالطوطم» إلى أن دخل الإسلام هذه البلاد في العهد الأموي عام ٩٦ هـ، إلاَّ أنَّ حمـلات التبشـير المسيحيَّة تنشط في هذه البلاد إلى اليوم، حتى أنَّ بعض المُدن بالكامـل قـد تحوَّلت إلى الدين المسيحي بسبب الفقر رغم ارتفاع نسبة التعليم بها .. وقـد

استطاع الاستعمار خلال وجوده في هـذه الـبلاد إلـى زرع الصـراعات والخلافات بين أبناء الشعب فنعزل كل من المسلمين في الجنـوب والغـرب وانعزل المسيحيُّون في الشمال والشرق.

وأوغندا بها عدد من المدارس الاسلامية للعرب ومدارس خاصة بـالهنود والعديد من الجامعات التي أُقـيم أولهـا عـام ١٩٢٢م، وأشـهرها جامعـة «ماكريري»..

وأهم الحرف الرئيسية في البلاد الأوغندية هي الرعي ثم الزراعة..

الفصل الثالث

من الحكايات الشعبية على ضفاف النيل

الحكايات الشعبية في مصر

(١) حكاية الصياد وعروسه:

خرج الصياد الشاب للصَّيد من نهر النيل، وكان يسكن قرية صغيرة مصرية قرب النهر .. طرح الصياد الشبكة وهو يتوكَّل على الله، ثم راح يُغني ويشدو بصوته الجميل..

أتدرون يا أصدقائي لمن كان يُوجه شدوه وغناءه؟.. إلى النيل متحدثًا بنعمة الله عليه..

فالله سبحانه أعطاه النهر وهو من أكبر النعم .. منه يحصل على رزقه من الصيد .. وعلى شاطئه بنى لنفسه كوخاً صغيرًا .. وكان يُفكر كثيرًا ويقول:

– ما أجمل أن يُعمِّر كوخي بزوجة جميلة؟

فجأة ثقلت الشبكة بين يديه، ففرح فرحًا شديدًا، وراح يسحبها ليستخرج ما بها من رزق ..

لكن الشبكة كانت ثقيلة .. ثقيلة ..

بذل الصَّياد الشاب أقصى ما بوسعه ليجذب الشبكة إلى الشاطئ ..

وفي النهاية ألقى نفسه طريح الأرض .. وقد أفلح في إخراج الصَّيد إلى البر..

أتدرون يا أصدقائى ماذا كان داخل الشبكة؟..

عروس جميلة .. لكن عجيبة .. لها جسد فتاة صبية رائعة الجمال .. وذيل سمكة ..

صحب الصياد العروس الشابة إلى كوخه وهو في غاية الغمِّ والحزن ..

وقد اضطرَّ أن يحمل صيده الجديد على ظهره ..

لكن ما كاد يدخل الكوخ ويستخرج الفتاة السمكة من الشبكة حتى سمع صــوت الفتاة يسأله:

– لماذا أنت حزين هكذا؟

قال لها وهو يجلس في ركن من الكوخ:

إنني فقير وليس عندى مال ولا طعام، وكنت أظن أنَّ رزقـــي ســيكون ســمكًا أمضي به إلى السوق لأبيعه وأشتري حاجتي من طعام وثياب و ...

قاطعته قائلة وهي تتخذ مجلسها بقربه:

وما الذي يمنعك من أن تكون غنيًا؟

فرح الصياد الشاب كثيرا وسألها:

كيف؟

من أسراري أنني سريعة البناء .. وفي غضون أسابيع سيكون لك بيت جميل.

أكلت الغيرة قلب شيخ القرية .. فأرسل أعوانه إلى الصياد يستدعونه وسأله:

من أين لك هذا العز والغنى وأنا أعرفك فقيرًا لا تجد مايقيم أودك وما لا يشبعك من الجوع؟

أطرق الصياد حزينًا .. ووجد نفسه يحكي الحكاية لشيخ القرية ..

للأسف لم يصدقه الرجل ولم يصدقه أحد من الحاضرين ..

عاد شيخ القرية يحدثه بلهجة عنيفة ويقول:

اسمع أيها الصياد، إنني أريدك أن تأتيني في الغد وأنت ترتدي ملابسك، وفـــي نفس الوقت تكون غير مرتديًا شيء ..

نظر إليه الشاب في غير تصديق وسأله مذهولاً:

كيف؟

لا أدري، عليك أن تُنفذ الأمر وإلاّ قتلتك .. قالت العروس السمكة: لا عليك .. عليك أن تأخذ الشبكة .. وعند باب دار الشيخ تخلع ثيابك وترتدي الشبكة ..

ثار شيخ القرية زفار حين خلع الصياد الشبكة عن جسده وأصبح عاريًا .. وقال له:

إذن جئني في الغد راكبًا ماشيًا ..

ها هو الصياد يستأذن في الدخول على شيخ القرية وهو يركب جحشًا صغيرًا وقدماه تتدليان على الأرض فبدا أثناء الركوب أنه راكبا ماشٍ ..

صاح شيخ القرية:

ماشاء الله تسخر مني؟

قال الصَّياد:

لقد نفذت ما طلبت مني فماذا أفعل لأرضيك؟

عليك أن تأتيني بحصان يرقص على البيض من غير أن يكسره ..

حسنا سأذهب لأنفذ ما طلبت ..

ذهبت العروس إلى شاطئ النهر ونادت:

يا إخوتي .. هاتوا حصاناً لايكسر البيض ..

أخذ الصياد الحصان وذهب إلى شيخ القرية .. وحين رقص الحصان لم ينكسر البيض ..

لكن ذلك لم يسعد الشيخ، بل هرش في لحيته الكثيفه وقال:

طلبي النهائي هو أن تأتيني بطفل مولود يحكي لى حكايات كلها كذب في كذب..

صحبت العروس الصياد إلى النهر ونادت:

يا إخوتي .. أريد أخانا الصغير في مهمة ..

وذهب الصياد يحمل أخ عروسه الطفل إلى بيت شيخ القرية ..

تهلّل وجه الرَّجل حين شاهد الطفل وطلب اليه أن يحكي له الحكايات التي كلهــا كذب في كذب ..

قال الطفل: كانت معي بيضة انكسرت وخرج منها ديك، هذا الديك نبتت له في ظهرة نخلة، وفوق النخلة طلعت الأرض، قلــت لنفســي: لابـدَّ أن أزرع الأرض بمحصول السمسم أو قمح أو فول .. قلت: أزرعها بالثلاثــة محاصــيل .. ولمَّــا حصدت المحاصيل في جوالات كان جوال السمسم حبة سمسم .. رحت أبحث عنها إلى أن وجدتها في فم الثور الذي يُدير الساقية، فأخذتها ووضعتها في الكيس.

ضحك شيخ القرية ومن معه ضحكًا شديدًا ومتواصلاً .. وقال:

اذهب أيها الصياد في أمان الله .. تزوج الصياد بعروس النيل ولم ينسَ أن يعيد الأخ الطفل إلى أهله ليعيش معهم في قاع النهر.

(٢) حكاية السفينة الغارقة:

سافر التَّاجر على ظهر السفينة التي أبحرت في النيل متوجهًا إلى أسوان ..

كان أصحابه من التجار ينتظرون بضاعته ليبادلونه عنها بغيرها من النباتــات كالكركديه والتمر والعرقسوس ..

وكان التاجر في غاية الشوق إلى لقاء الأحباب ..

لكن هبَّت عاصفة وانكسرت السفينة وغرق من عليها إلاَّ التاجر..

فقد تعلَّق بلوح خشبي من حطام السفينة، وظلَّ يسبح حتى ألقته الامــواج علــى شاطئ جزيرة ..

وسرعان ما أتت سفينة إلى الجزيرة وانتشلته وأعادته إلى بلدته ..

في العام التالي عاد التاجر إلى نشاطه وركب سفينة أخرى وأوصلته بالســلامة إلى إحدى الواحات..

وحين كان يتناول طعام غذائه أحس بالعطش، فمضى ليملأ الدلو ببعض المـاء من البئر القريب..

لكن فجاة صاح حين سحب الدلو من البئر:

واعجباه!..

ففي الدلو وجد إناءه الخاص الذي كان يشرب منه الماء على السفينة الغارقـة، تعجب التاجر كثيرًا .. كيف وصل الإناء إلى ذلك البئر؟!

سأل التاجر شيخ الواحة:

هل ألقت الأمواج بحطام سفينة إليكم في العام الماضي؟..

نظر اليه الشيخ وسأله:

هل كنت على ظهر تلك السفينة؟..

نعم ..

تخلَّل الشيخ لحيته باصبعه ثم قال:

أبشر، فقد ألقت الأمواج إلى الشاطئ ببعض حطام السفينة ..

سأل التاجر بلهفة:

وهل توجد عندكم بعض هذه الأشياء؟..

أجاب الشيخ:

بلا ريب .. فمن عادتنا أن نحتفظ ما يأتي به النهر إلينا كأمانـة لنردهـا إلـى أصحابها ..

ونادى الشيخ بعض أتباعه .. فأحضروا الأشياء ..

وسرَّ التاجر كثيرًا على الأمانة ..

وعاد إلى بلاده سعيدًا وقد نسي أن يسأل أهل الواحة ذلك السؤال الغريب:

كيف وصل إنائي إلى البئر؟!..

(٣) حكاية لماذا عاد اوزوريس؟ :

في مصر العزيزة عاش أخوان: أوزوريس وست، وأختان: إيزيس ونفتيس ..

ولأن أوزوريس كان أكبر الأخوين فقد تولّى حكم البلاد.

وترك لست إمارة الوجه القبلي أو الصعيد ..

لكنَّ ست حقد على أخيه وازداد حقدًا حين تزوج أخوه أوزوريس من الجميلة إيزيس ..

تزوَّج ست بالأخت الأخرى .. وصحبها لتعيش معه في الصعيد ..

ذات يوم أولم ست لأوزوريس في مقر إمارته بالصعيد يدعوه إلى القدوم، فقد أولم له وليمة كبيرة ..

قبل أوزوريس الدعوة .. وذهب إلى الصعيد بعد أن ودَّع زوجته الجميلة إيزيس وابنه الطفل الرائع حورس ..

بعد أن تناول الأخوان غذاءً حافلاً طلب ست من أخيه أن يرقد في تابوت ذهبي قال إنه هدية له ..

سُرَّ أوزوريس بالهدية .. ودخل التابوت ورقد فيه ليقيسه .. وإذا بباب التابوت يُغلق وتُدق المسامير في الباب كيلا ينفتح ..

ثم أمر ست أعوانه بحمل التابوت وإلقائه في النيل ..

سمعت إيزيس بالحكاية فحزنت كثيرًا من غدر الأخ بأخيه ..

وذهبت في أثر التابوت .. تتبَّع خطاه ..

وعند أحد جبال لبنان وجدت التابوت .. فمضت تُقبل ابنها حورس وهي تُشير إلى التابوت وتقول:

هنا والدك العزيز ..

استخرجت ايزيس زوجها من التابوت وبكت بكاءً حارًا، واذا بالحياة تُبعث في أوصال الزوج ..

شيدت الأسرة كوخًا لتعيش فيه إلى أن يعود الجميع إلى مصر ليسترد أوزوريس عرش البلاد من أخيه الغدّار ..

لكن الغدّار عرف الحكاية وجاء بسرعة إلى لبنان وظفر بأخيه وقتله .. وعاد بأعوانه من حيث أتى ..

حاولت إيزيس أن تبكي .. لكن لم تسعفها الدموع ..

أقسمت الزوجة الوفية على الانتقام .. إنها ستربي ولدها الجميل حورس .. وستعدُّه ليستردَّ عرش ابيه الذي اغتصبه عمُّه بالقوة ..

ونما الطفل فأصبح صبيًّا رائعًا ..

وكبر، وشب عن الطوق، وصار شابًا قويًّا له جسد رياضي قوي ..

وفي ذات ليلة رأى الشاب حُلمًا عجيبًا ..

شاهد حورس أباه أوزوريس في الحلم ..

كان يقول له:

يا بني، عليك أن تستردَّ العرش .. لقد حاولت أن أكون ملكًا عادلاً، علَّمت شعبي بعض الأشياء النافعة ..

علَّمتهم كيف يقودون المحراث ليحرثوا الأرض، وكيف يحصدون المحاصيل بالمنجل .. وكيف يشقون الأرض بالفأس ليروا المحصول ..

ولكن عليك أنَّ تحمل السلاح لتحارب الأشرار ..

وتسترد ملك ابيك .. و...... حينئذ سأعود و....

وصحا حورس من الحلم .. واستبشر خيرًا .. وقال: سأفعل يا أبي .. وسأسترد العرش .. فهل سيعود أوزوريس حقًّا؟

الحكايات الشعبية في السودان:

في السودان الحبيب كثير من الحكايات الشعبية، تتناول الإنسان العادي في حياته اليومية، أو تتناول الملوك والأمراء في العصور القديمة، والنوع الأول من الحكايات يرتبط بأصحاب الحرف مثل الحطاب والصائغ والسماك .. أمَّا النوع الثاني فيصف الملوك والأمراء، وتقول إنه يمكن للإنسان العادي من أبناء الشعب أن يصير أميرًا أو ملكًا إن هو اجتهد واستخدم شطارته وذكاءه.

والحكايات الشعبية معظمها يحكيه سكان الجنوب الذين حتى الآن يؤمنون بالسحر والشعوذة .. واخترت لكم يا أعزائي خمس حكايات:

١ – حكاية دور يا مسعود:

كان الحطاب الفقير يكسر الأشجار في الغابة، وكان يُحدث ضجَّة شديدة .. أزعجت الضجة الشديدة العابد الصالح في الغابة، فذهب إلى الحطاب وقال له:

السلام عليك أيها الحطاب الطيب ..

وعليك السلام يا شيخنا الزّاهد ..

قال العابد الزاهد: بالله عليك يابنى اذهب من هنا واعمل في مكان آخر فاننى لا أستطيع العبادة في هذه الضجة .

ردَّ الحطَّاب يقول: كان من عيني يا مولانا، لكني لا أجد الرزق إلاَّ هنا، فأنا فقير ولي أولاد جياع، وإن لم أشتغل فلا طعام لهم.

حنَّ الشيخ الزاهد للحطاب، وناوله قدحًا وقال له:

خذ هذا القدح، واطلب منه ما تشاء من طعام فيلبي طلبك في الحال ..

مرَّ السلطان ذات يوم بدار الحطاب، وعرف حكاية القدح، فهجم على الدَّار واستولى على القدح .. ورجع الحطاب يبكي، فقال له الشيخ الزاهد:

لا عليك، خذ هذه الصينية واطلب منها ما تشاء .. وحافظ عليها ..

وذهب الحطاب فرحًا إلى داره، وطلب من الصينية طعامًا، وأكل هو وزوجته وعياله، وعاشوا في رضا وسرور ..

لكن السلطان الظالم أرسل رجاله إلى دار الحطاب واستولى على الصينية كما استولى على القدح من قبل ..

قال الشيخ الزاهد للحطاب الحزين:

هل فقدت الصينية أيضًا؟

نعم ياسيدى الشيخ ..

ابتسم الشيخ الزاهد وقال للحطاب:

طيب، خذ وهات أذنك واسمعني ..

رجع الحطاب إلى داره وقال وهو يُرِي العصا لامرأته وعياله:

هذه العصا لا نفع منها إلاَّ إذا .. اسمعيني بأذنيك .. هنا فرحت الزوجة وأخذت العصا واحتفظت بها ..

عاد الحطاب يعمل في الغابة، وفجأة وجد جنود السلطان يقبضون عليه، وسأله كبير الجند:

أين العصا؟.. أين خبأتها؟.. إنّ السلطان يريدها بأي ثمن ..

وأنا تحت أمر مولاي السلطان، وسأعطيه العصا هدية .. خذوني إلى السلطان، وسأمر على داري لأحضر العصا السحرية ..

دخل الحطاب داره وأحضر العصا، وسار مع جنود السلطان إلى قصر السلطان، ناول الحطاب العصا للسلطان وهو يقول:

هذه العصا يا مولاي أمرها عجيب .. فإن قلت لها «دور يا مسعود» أمام جنودك فستأتيك بالذهب والجواهر..

فرح السلطان وأمر كل الجنود والوزراء وأعيان السلطنة أن يحضروا أمامه وأمسك العصا وقال لها في سرور:

- دور يامسعود..

لكن بدل الذهب والجواهر نزلت العصا على السلطان وجنوده ووزرائه وأعيانه ضربًا موجعًا، والسلطان يصرخ، والكل يصرخ ويضحك ويتفرج.. وصرخ السلطان:

- بالله عليك ياحطاب .. أوقف هذه العصا .. ولك ماشئت من الأموال والإمارة ..

قال الحطاب:

- تعطيني القدح والصينية ونصف أموال السّلطنة؟..

رد السلطان وهو يقفز فرارًا من العصا:

- موافق..

وأمر الحطاب العصا فوقفت، وعاش الحطاب سعيدًا بقدحه وصينيته ونصف أموال السلطنة، ولم ينسَ طبعا أن يسترد العصا.

٢- حكاية بنت الحطاب:

أحب الأمير الشرير بنت الحطاب، وكانت بنت الحطاب فقيرة ولكنها ذكية، جمالها على كل لسان، فهى بيضاء مثل القطن، طويلة كالنحلة ..

وألحَّ الأمير على بنت الحطاب أن تأتي إلى قصره وتعيش مع الجواري، غير أنَّ بنت الحطاب رفضت.

أخيرًا قرر الأمير أن يتزوج بنت الحطاب، فأرسل إلى والدها وقال له:

- مارأيك ياحطاب .. أنا أريد بنتك أن تكون زوجتي؟

رد الحطاب:

- السمع والطاعة يامولاي

وهكذا تزوج الأمير بنت الحطاب، وقبل الزواج بيوم ذهبت بنت الحطـــاب إلـــى محل الحلوى وقالت لصاحب المحل:

- أريد أن تصنع لى عروسًا من الحلوى مثلى في الطول والحجم وتشبهنى..

احتفل الأمير بزواجه بنت الحطاب، فأقام الأعياد وأضاء الأنوار، وأطلق من في السجون .. فلمّا انتهى الحفل دخل الأمير غرفة عروسه، وكان بيده سيفه..

صرخ الأمير في عروسه التي كانت جالسه على الفراش:

- سأنتقم منك يابنت الحطاب.. لأنك رفضتي أن تكونى من الجـــواري .. لكـــن قولي لي لماذا رفضتي؟

أجابت بنت الحطاب بشجاعة:

- اردت أن أتزوج وكرهت أن أكون جارية..

فطار عقل الأمير الشرير ورفع سيفه وضرب رقبة العروس وهو يقول:

- إذن خذي يازوجتي..

ولكن بدل أن يسمع الامير صرخات زوجته سمع ضـــحكًا ينبعـــث مـــن تحـــت الفراش، ثم خرجت بنت الحطاب من مكانها تحت الفراش وهي تضحك وتقول:

- توقّعت يا أمير.. أن يحدث منك ذلك فأخذت حذري..

نظر الأمير وفهم كل شيء، لقد أطار رقبة العروس المصنوعة مـــن الحلـــوى، ونجت زوجته بنت الحطاب ..

أعجب الأمير بذكاء زوجته، وطلب منها أن تسامحه، وأن تعيش معه في سعادة، وصار أميرا من أطيب خلق الله.

٣- حكاية ابن السماك

كان ابن السماك ولدًا شجاعا يحب بلاده، وكان سلطان البلاد لا يهمُّه أن يرضي إلاَّ رغباته هو، ويعرف أنَّ ابن السماك ولد شجاع ولايمكن أن يعصيه إن أمره .. أرسل السلطان إلى ابن السماك، ولمَّا حضر قال له:

هل تعرف ملك أعالي الجبال؟..إنَّ له ابنــة جميلــة، أريــدك أن تــذهب إليــه وتحضرها لأتزوجها .. ماذا تقول؟

أجاب ابن السماك:

- أمر مولاي .. لكن السفر طويل وأريد خيلاً وبعض الأموال..

أمر السلطان وزيره وقال:

- أعطوه ما يريد..

خرج ابن السماك إلى أميرة أعالي الجبال، فركب جوادًا، وأخذ كيسًا من المال، وتزوَّد ببعض الزاد .. وطال سفر ابن السماك في الصحراء حتى وصل إلى قصر ملك أعالي الجبال، فدخل عليه وأبلغه رغبة سلطان بلاده في الزواج من الأميــرة، وبعد تفكير وافق الملك، وأرسل ابنته الأميرة إلى قصر السلطان، ولمَّا حضرت إليه سألها:

- أنت ستكونين سلطانة البلاد .. فما قولك يا أميرة؟

ردَّت الأميرة تقول:

- عفوايا يامولاي .. لن أتزوج إلاَّ من يغلب غول الغابة ..

غضب السلطان وسأل الأميرة:

- لكن مالنا ومال الغول ياأميرة؟

- الغول يامولاي يُهدِّد كل الحطابين وصيادي الوحــوش فــي الغابــة .. ولا يستطيع أحد من البشر أن يعيش في الغابة ..

فاستدعى السلطان ابن السماك وقال له:

- اذهب إلى الغابة، وعليك بقتل غول الغابة ..

أجاب ابن السماك:

- سأقتله إن شاء الله يامولاي ..

وذهب ابن السماك إلى الغابة وقتل الغول .. سأل السلطان ابن السماك:

- ماهو الدليل على أنك قتلت الغول؟

ابتسم ابن السماك وقال:

- لقد طعنته بسيفي .. وقطعت رأسه، وها هي يامولاي ..

وأخرج ابن السماك رأس الغول من صندوق أحضره معه، فعرف السلطان أنَّ ابن السماك من الصادقين، وتزوج ابن السماك أميرة أعالي الجبال، وعاشا في سعادة وهناء.

٤- حكاية سر الطبلة:

رغب السلطان أن يُزوِّج ابنته الأميرة من رجل شجاع وذكي يستطيع أن يحل أعقد الألغاز، وحدث أنَّ خدم السلطان عثروا في الغابة على حشرة، فأمرهم السلطان أن يُسمِّنوا الحشرة إلى أن صارت في حجم الخروف، فأمرهم أن يذبحوها ويرموا لحمها ومن جلدها يصنع الدباغ جلد الطبلة .. ونادى منادي السلطان في الشوارع يقول:

- ياأهل السلطنة .. سلطانكم يدعوكم إلى وليمة فاخرة بعد الصلاة..

تدفق الناس في قصر السلطان مثل الجراد، فأكلوا وشربوا حتى شبعوا وامتلأت البطون، ثم خرج عليهم الوزير.. وهو يقول:

– يقول لكم مولانا السلطان أنه سيُزوّج ابنته إلى من يسطيع معرفة من أي شى جلد طبلته الجديدة مصنوع، فمن يعرف السر تزوَّج الأميرة .. ومن يُخطئ في الحل تطير رقبته في الحال..

توالت الأيام، كل يوم يأتي ناس من كل الدنيا، يدخلون ليحلوا اللغز ويعرفون السر، لكن رقابهم كانت تطير في سرعه وجنون.

وذات يوم جاء صياد فقير من قرية بعيدة بعيدة، ونزل يشرب من البحر، وشاءت قدرة الله أن تجلس قريبًا منه خادمتان في قصر السلطان تتحدثان وهما تملآن الجرار بالماء، فقالت إحداهما للأخرى:

– ياحسرة يا أختي على كل هؤلاء الشباب الذين ذهبوا في سبيل اللغز..

وردت الأخرى تقول:

– آه لو عرفوا أنه مجرد جلد حشرة من الغابة..

أنهى الصياد شربه، وحمد الله أن وفّقه إلى معرفة السر، فذهب إلى قصر السلطان وطلب أن يحل لغز جلد الطلبة، فقال له السلطان:

– ماهو الحل أيها الشّاب؟

فسأله الصياد: وهل تزوجني الأميرة؟

أجاب السلطان: في الحال..

قال الصياد: إذن مولاي .. لقد ذبح جنودك حشرة تشبه القملة .. واتخذوا من جلدها طبلة .. أليس ذلك هو ماحدث بالتمام والكمال؟

صفّق السلطان بيديه، فحضر الوزير، فقال السلطان:

– قل للأميرة أن تستعد .. فقد وصل عريسها الذكي إلى حل لغز الطبلة العجيب ..

وهكذا تزوج الصياد الأميرة العظيمة، وسبحان من يرزق من يشاء بغير حساب.

٥- صياد السمك:

ترك أخوان منزلها في الغابة وتجوّلا في انحاء السودان حتى وجدا مكانًا يمكن لهما أن يصيدا فيه كثيرًا من الأسماك، وأثناء تجوال الأخوان وجدا رجل عجوز وابنته يعيشان قرب مسكنهما الجديد .. اقترب منهما الأخوان، وأحب كلاهما البنت، وأراد كلاً منهما أن يتزوجها، لكنها ترفض، ويقول والدها العجوز:

- سأزوج ابنتي لمن يصيد نصيبًا وفيرًا من السمك .. ويكون هذا الشرط سهلاً عند الأخوين .. فيذهب كل منهما يحمل شبكته للصيد عند البحر..

ذهب الأخ الأكبر وغاب طول النهار، ثم رجع عندالغروب يحمل حملاً وفيرًا من السمك، فقال له والد الفتاة:

- أحسنت يابني..

وجاء الأخ الأصغر بعد قليل بحمل وفير من السمك، فقال العجوز:

- وأنت أيضًا، أحسنت يابني..

وزن العجوز الحملين فلم يجد أحدهما يزيد سمكة عن الآخر، فتعجب وقال للأخوين:

- أمامكما أسبوع .. وفي نهايته نُقرر من سيتزوج ابنتي..

ومرَّ يوم، ومرَّ يومان، وثلاثة، ثم ذهبت الفتاة لتراقب الأخ الاكبر وهويصطاد، لكن أخذ منها العجب مأخذه، فحين وصلت إلى حيث يصطاد الأخ الأكبر وجدت الأخ الهمام نائمًا يشخر، وشباكه ملقاة على الأرض، وتنتظر الفتاة ماذا سيحدث، وقبل الغروب يصحو الشاب، ويأخذ شبكته ويلقيها في البحر ويبدأ الصيد .. وهنا ترجع الفتاة إلى والدها ولاتقول له أي شيء..

في اليوم التالي تخرج الفتاة وتذهب إلى حيث يصطاد الأخ الأصغر ويأخذها السرور، فإنَّ الشاب يرمي شباكه في البحر طول الوقت، ويغني للبحر بصوت

عذب، فتقفز الأسماك في شباكه، وعند الغروب يأخذ الشاب شباكه ويرجع إلى داره..

وفي الصباح التالى أخذت الفتاة والدها إلى حيث ينام الأخ الأكبر وأشارت اليه وهو يشخر وقالت لوالدها:

– أيرضيك أن أتزوَّج هذا الرجل يا والدي؟

أجاب والدها العجوز:

– أنا لم أرَّ الشاب الآخر .. فأين هو؟

وذهبت به الفتاة مكان الأخ الأصغر، ولاحظ الوالد أنَّ الشباب يمارس الصيد في سعادة وسط الغناء والمرح، ولمَّا انقضى الأسبوع قال الوالد للأخ الأصغر:

– تفضل يابني العزيز.. فإن العروس تنتظر.

الحكايات الشعبية في أثيوبيا:

أعزائي .. للشعب الأثيوبي حكايات عديدة أبدعها ورواها وتناقلها عنه الناس في كل مكان وعلى مدى دهور.. ومن أروع هذه الحكايات..

١- حكاية الضبع وابن آوى

كان الضبع يتجوَّل في الغابة.. فالتقى فجأة بابن آوى، فقبض عليه من عنقه قبضًا شديدًا، فصاح ابن آوى وهو يبكي:

– ماذا تريد مني ياسيدي؟

أجاب الضبع وهويشعر بالزهر لما راه من ذله الأخر وهوانه:

– أريد منك أمرًا..

صاح ابن آوى وقد لمح بادرة لنجاته من بطش الضبع:

– مرني بما تريد..

قال الضبع:

- أنا لا أريد أن أقتلك، كل ماهناك أنني أريد أن أشرب..
قال ابن آوى:
- سآتي لك ببعض الماء..
تردَّد الضبع، وقال في خيلاء وتعاظم:
- لا، بل هيئ لي مكانًا لأرتاح فيه..
وليكون ذلك المكان بعيدا عن الحر والبرد والمطر، أفهمت؟
قال ابن آوى في سرعة:
- سأذهب من فوري لأجهز لك مكانًا..
هنا قال الضَّبع متراجعًا:
- لا، بل دعني أفكر في شيء ثالث..
تململ ابن آوى.. لقد شعر أنَّ الضبع يريد إذلاله، فقال متبرمًا:
- أنت لاتريد إلاَّ أن تحطَّ من شأني، ولو كنت رجلاً لِما جرؤت على إذلالي..
ولا أقدمت على هواني..
دهش الضبع وقال:
- لو كنت رجلاً؟!..
وراح يفكر ويفكر، ثم عاد يسأل ابن آوى وقد خفَّف من قبضته عليه:
- وما شكل ذلك الرجل الذي يستطيع أن يُواجهني؟ أهو أقوى مني؟
أجاب ابن آوى وهو يتنفَّس الصعداء:
- إن أردت أن تراه فتعال معي..
فانطلق الاثنان .. ابن آوى في المقدمة، يتبعه الضبع وعيناه لا تفارقان صاحبه..
صادف الاثنان رجلاً بلغ من العمر أرذله..
كان يستظل من الحرِّ بظلٍّ شجرة وارفة..

أشار ابن آوى إلى الرجل
وقال للضبع:
- انظر..
سأل الضبع صاحبه باستهانة وسخرية:
- أهذا هو الرجل؟
وتقدَّم من الشيخ .. فارتجف رعبًا ولاذ بالفرار..
ضحك الضبع ملء شدقيه وقال:
- ألا تتَّبعه لتُعيده ليستظل بظل الشجرة؟
نكس ابن آوى رأسه وهو يشعر بمذلة لم يعهدها من قبل:
- إنه ليس رجلاً .. لقد كان رجلاً منذ زمن بعيد..
وعادا يتجوَّلان في الغابة..
بينما هما يسيران أقبلا على صبي يلعب في الغابة..
نظر إليهما الصبى وفي عينيه رعب حقيقي..
وعادا يتجوَّلان في الغابة..
حقًّا، لم يستطع أن يعدو هاربًا كما فعل الشيخ من قبل، لكنه نظر إليهما كأنه موشك على الموت..
أشار الضبع إلى الصبى وسأل صاحبه:
- أهذا هو الرجل الذي سيواجهنى وينجيك من قبضتي؟
لا تسألوا يا أعزائي عن حال المسكين ابن آوى..
لقد التصق لسانه في حلقة.. وبعد أن مضى زمن أفلح في أن يقول في صوت متحشرج:
- لا.. إنه ليس رجلاً..

صاح فيه الضبع في غضب:

- فماذ يكون هذا؟

أجاب ابن آوى:

- إنه سيُصبح رجلاً ذات يوم..

أخيرًا وصلا إلى مفترق الطرق في الغابة..

وعن بُعد لمحا شابًا مفتول العضلات فارع الطول يحمل رمحًا..

انتعش الأمل في صدر ابن آوى وهو ينظر إلى الشاب..

توقف الضبع عن المسير.. والشاب يقترب منهما، وسأل ابن آوى:

- أهذا ما تسميه رجلاً؟

أجاب ابن آوى منتفخ الأوداج:

- نعم .. فهيا، حاول أن تقبض عليه كما فعلت معي..

ولمّا اقتربا منه لم ير الضبع في عيني الشاب أي خوف، لكنه فوجئ به ينطلق بعيدًا ويُسدّد الرمح إلى الضبع..

اخترق الرمح صدر الضبع ففزع ممّا حدث وفرّ هاربًا وراح ابن آوى يضحك ويضحك ويضحك...

٢- العروس العجيبة...

كان لشيخ القبيلة ابنة بارعة الجمال..

ولمّا بلغت البنت من عمرها مبلغ الفتيات وصارت فارهة الطول معتدلة القوام طلبها الرجال وسعى إلى الزواج بها كثير من فتيان القبيلة ورجالها الأشراف..

لكن شيخ القبيلة أقسم ألاّ يُزوج ابنته من أي انسان..

ومع ذلك تسامع الكل بأمر البنت وجمالها، إلاّ أنّ أحدًا لم يجسر على التقدم إلى أبيها يطلب يدها..

وكان للشيخ قطيع، بل قطعان من الماشية والأغنام يخدمها مئات من الرعاة..
وكان من عادة ذلك الشيخ أن يمتطي جواده كل صباح ويقود بنفسه قطعانه إلــى المرعى..
وبعد أن يتناول رعاته إفطارهم يلحقون به في المرعى..
وفي أحد الايام..
والشيخ يمضي بالقطعان رآه شاب فأسرع اليه يقطع عليه طريقه..
صاح به الشيخ في غضب:
- ماذا تريد؟
أجاب الشاب:
- أريد أن أتزوَّج ابنتك..
دهش الشيخ من جسارة الشاب وقال له ساخرًا:
- ألم يبلغك أنى أقسمت ألاَّ أزوجها من إنسان؟
اغرب عن وجهى الآن وإلاَّ قتلتك شر قتلة..
هنا أطلق الشباب ضحكة مدوية وقال:
- أنا لايزعجنى الموت، ولن أدعك قبل أن توافق على طلبي..
صاح الشيخ، وأرعد وأزبد، لكن لم يزدد الشاب إلاَّ إصرارًا على رأيه..
أخيرًا قال الشيخ:
- لا بأس .. هيا نعود إلى داري ونعقد الزواج..
وبالطبع كان الشيخ ينوي قتل الشاب على أعين قبيلته..
في طريق العودة سأل الشيخ الشاب:
- لماذا أقدمت على الزواج بابنتى أنا وغيرك لايخاطر بحياته؟
أجاب الشاب:

- اعلم أيها الشيخ أنني مشهور بين قومي لصفات ثلاث:

* إنني لا أخشى إلاَّ اللــه.
* إنني أجود بما أملك لو طلبه إنسان.
* وإنني لا أخجل من شيء أعمله.

هنا أوقف الشيخ جواده .. واحتضن الشاب وهو يقول:

- إني أزوجك ابنتي عن طيب خاطر الآن..

استأذن الشاب الشيخ أن يمضي بعروسه إلى أهله، فأذن له الشيخ بعـد أن زوَّده بمؤن وزاد وهدايا كثيرة على ثلاثة جمال..

وما كاد الشاب وعروسه يغادران الشيخ حتى استدعى الشيخ قائد حرسه وقال له: جهِّز خمسين فارسًا، وبعد أن تمضي ثلاثة أيام هاجموا ركب زوج ابنتي..

فإذا فرَّ الشاب هاربًا فاقتلوه..

وإن قاتل دفاعًا عن ابنتي فاتركوه ولا تمسوه بسوء..

بل ارجعوا به وابنتي إلى هنا..

كان الفتى جالسًا في ظل شجرة..

فإذا به وقد رأى الغبار يثوروالفرسان تكاد تحيط به من كل جانب..

أسرع الفتى إلى جواده فامتطاه، وإلى رمحه فأشرعه، وقاتـل الفرسـان قتـال الأبطال..

هنا صاح قائد الحرس في الفرسان أن يكفوا عن القتال.. وقال للفتى يُطمئنه: نحن رجال الشيخ، ولا ننوي بك شرًّا..

فأسرع الفتى وذبح لهم جملاً ليطعموا، فصاحت به العروس:

كيف تنحر لهم جملاً والجمل يحمل متاعنا؟

أجابها زوجها:

إنهم جوعى، ولم أعتد على البخل..

في طريق العودة إلى ديار الشيخ والد العروس، كانت الجمال الثلاثة قد ذُبحت لإطعام الفرسان.. وحين وصل الركب إلى الشيخ لم يكن الزوج يملك إلاَّ جواده الذي يركبه وجواد زوجته..

أسرع الشيخ إلى زوج ابنته مُرحبًا، واحتضن ابنته وهو يقول في سعادة:

ألم أخبرك اننى زوجتك بخير الرجال؟

٢- الحمار مجرمًا

شحَّت الأقوات في الغابة..

فالمطر توقَّف عن الهطول والطعام أصبح كالسراب..

وانعقد اجتماع في الغابة..

وحضر الاجتماع الأسد ملك الغابة..

والفهد مستشار ملك الغابة..

والضبع.. حاجب ملك الغابة..

والحمار.. حكيم الغابة..

قال الأسد:

أرى يا إخواني أنَّ ما أصابنا من قحط وجدب وضيق في الأرزاق سببه مذنب أجرم في حق الله..

قال الضبع:

والله قد صدقت يامولاي..

وقال الفهد:

إنك لم تتعدَّ الصواب..

وقال الحمار:

فماذا نحن فاعلون؟

قال الضبع:

افتنا في أمرنا، ألست حكيم الغابة؟

وقال الفهد:

وأنت واسع الحيلة..

احمرت أذنا الحما، وهز ذيله في حبور وقال:

فليقل أخي الضبع رأيه، فقد أنبته عني في المسألة..

قال الفهد وهو يتطلّع في الوجوه بمكر وحيطة:

أرى أن يعترف كل منا بذنب اقترفه في حياته..

وافق الجميع وقالوا

نِعم الرأي..

بدأ الأسد قائلاً:

كنت أتجوّل ذات يوم في الغابة، فوجدت ثورًا عظيمًا شاردًا عن قطيعه فالتهمته..

قال الفهد:

وأنا رأيت تيسًا ضلّ الطريق فأكلته..

وهنا قال الضبع:

لكن ذنبي أفظع من ذلك كله..

في صوت واحد قال الجميع متسائلين:

كيف؟

قال الضبع:

كان كتكوت مسكين، مسكين، بل شديد الصغر يقف في الطريق ذات صباح..

وكنت يا إخواني مارًا بالصدفة، وأنا جائع، جائع..

وقرصني الجوع .. ولم أبال بنظرات الكتكوت المسكين.. كان ينظر إلى وقد سقط «زغبه» من الرُعب، وراح يصوصو ويصوصو..

لكن لم يشفع له رعبه، ولا زغبه المتساقط، ولم أرحم صوصوته، فالجوع غلبني على أمري..

ومن غير تردُّد انقضضت عليه والتهمته..

بغير شك كان الكتكوت صغيرًا وضئيلاً ولا يسمن من جوع .. لكنني كنت مضطرًا..

نهق الحمار في حزن وهطلت دموعه تأثرًا وهو يقول:

وماذا أقول أنا يا إخواني؟.. إنَّ ذنبى فظيع .. شنيع..

إليكم الحكاية يا إخواني لتُقدِّروا مدى فظاعة إثمي..

كان صاحبي يقوداني إلى الحقل ذات مساء..

وفي الطريق قابل صاحبي صديقًا له فانشغل عني..

لقد قفز عن ظهري .. وراح يعانق صديقه في شوق عظيم..

أما أنا فانتهزت الفرصة وغافلت صاحبى ومضيت ألتهم بعض الحشائش خلسة..

فما قولكم فيما صنعت؟. أليس جرمي شنيعًا؟

فصاحوا في نفس واحد:

بلى .. إنَّ ذنبك لفظيع..

فأنت المذنب الكبير.. وذلك لحكمتك العظيمة ونفسك الجميلة، والله يقبل التوبة منك يا أعظم الحكماء..

فلما نهق مسرورًا انقضوا عليه .. وأكلوه.

الحكايات الشعبية في أوغندا

١- حكاية الكاباكا وثعبان المنجو:

يُحكى أن كاباكا أوغندا القديم اتخذ من صخرة شهيرة كرسيًّا لعرشه..

كان الكاباكا العظيم يجلس طيلة اليوم على الكرسي أو الصخرة الشهيرة لـيحكم شعب أوغندا..

فإذا جاء الليل بحلكته انصرف الكاباكا وحاشيته إلى داخل قصره ليرتاح من عناء النهار..

وذات يوم أقبل أحد حاشية الملك إلى القصر يولول ويعول.. فخرج إليه الكاباكا يسأله عمَّا جرى .. ولمَّا هدأ روع الرَّجل راح يقول:

مولاي الكاباكا العظيم، أرجوك لا تذهب إلى كرسيك اليوم..

دهش الكاباكا وراح ينظر إلى تابعه المخلص ويقول:

لماذا؟.. أهناك مايسوء؟..

ارتعشت شفتا الرجل وقال في صوت متقطع:

هنا.... ك ثعب... أنَّه .. ضـ...خم يا مو...لا...ي

حول الكاباكا تجمَّع خلق كثير.. وسرعان ما تعالت الصيحات والتحذيرات من كل صوب..

مولانا لا تذهب..

الخطر عظيم يا مولاي..

فلنمكث هنا ونغلق أبواب القصر..

هنا رفع الكاباكا يده فسكت الجميع وقال:

لاتبالوا.. إنني ذاهب إلى هناك..

فانطلقت الصيحات من جديد:

غير معقول يامولاي..
لا تفعل أيها الكاباكا العظيم..
نفسي فداؤك يامولانا..
لكن الكاباكا أصم أذنيه.. فقد قرَّر أن يذهب ليلقى مصيره وحده..
الغريب أنه لم يتسلح بحربة أو سهم أو خنجر..
كان الثعبان يحيط بالصخرة .. ثعبان ضخم لامع الجلد..
يفتح فاهه الرهيب .. ويفح فحيحًا متصلاً .. وحين شاهد الكاباكا يدنو منه أطلق فحيحًا اضطربت له الأرض وتساقطت له أوراق الشجر..
لكن الكاباكا لم تهتز له من جسده عضله، فقد راح يقترب من الثعبان..
ويقترب .. ويقترب..
فحَّ الثعبان، ونظر إلى الملك وقال:
ألست خائفا مني؟..
ضحك الكاباكا وأجاب:
كيف أخاف منك ونحن صديقان؟..
استغرب الثعبان من حديث الرجل وعاد يسأله:
لكن كيف نكون صديقين ولم أرك قبل الآن؟
توقف الكاباكا عن الضحك وقال للثعبان:
هل نسيت صداقتنا؟.. إذن لماذا ياصديقي أنت جالس في مكاني؟..
هزَّ الثعبان ذيله في حيرة وقال:
حقًا.. لماذا أنا جالس في مكانك؟.. لابدَّ أنني نسيت..
حسنا.. كيف نجدِّد صداقتنا؟..
قال الكاباكا في دهاء:

عليك أن تفتح فمك وتريني أنيابك الجميلة..

سرَّ الثعبان كثيرًا .. وفتح فمه حتى ظهرت أنيابه القاتلة..

وكانت فرصة لم يضيعها الكاباكا الذي سارع وتناول حجرًا، وبأقصى سرعة وضعه في حلق الثعبان..

شعر الثعبان بأنه يختنق.. ونظر إلى الكاباكا في ضراعة أن يُخلِّصه من الحجر..

ضحك الكاباكا وأخذ يقبض على عنق الثعبان بقبضتيه الجبارتين:

ومن يصدق أنَّ الثعبان الغادر يمكن أنَّ يصير صديقًا للانسان؟..

وانطلقت السهام من كل صوب .. وهلَّل أتباع الملك وهم يرون الثعبان يختنق ويموت..

وانطلقت الأصوات تصيح: يحيا الكاباكا الشجاع.

٢- حكاية التمساح وفرس النهر:

اعتاد التمساح أن يلهو مع صديقه فرس النهر في مياة النيل..

كان النيل فياضًا، والماء حلو وعذب .. وفرس النهر وصديقه التمساح يستمتعان بالتهام الأسماك الصغيرة التي يجود بها حبيبهما النيل في كرم وسخاء..

وكان الناس يأتون من القرى، ويخوضون بأجسامهم في مياة النهر.. يلعبون دون خوف مع التمساح وصديقه فرس النهر..

لكن حدث ذات عام أن شحَّ ماء النهر .. وهجرت الأسماك النيل .. وجاع الصديقان جوعًا عظيمًا..

قال التمساح لصديقه:

هيَّا ياصديقي نخرج إلى المدينة القريبة..

دهش فرس النهر وسأل صديقه:

لماذا نهجر الماء وقد اعتدنا عليه؟..

شحَّ الطعام ياصديقي ولن نلبث أن نُهلك من الجوع..

وخرج الصديقان في جولة طويلة إلى المدينة..

هرب الناس من كل طريق سار فيه الصديقان..

اندهش الصديقان لِما يفعله الناس .. لكنهما واصلا السير رغم حرارة الجو الفظيعة..

فجأة توقف الاثنان .. فقد وجدا قردًا جالسًا في ظل شجرة .. هنا همس التمساح لصديقه:

نحن محظوظان ياصديقي .. وها هو الطعام على قيد خطوات منا..

حين شاهد القرد الصديقين تفصَّد العرق من جسده..

وارتعشت أطرافه..

أشار التمساح إلى القرد أنَّ يقترب فانصاع القرد للأمر.. واقترب من الاثنين وهو يقول في خوف:

ماذا يطلب سيدى التمساح؟

نظر التمساح لفرس النهر نظرة ذات مغزى وقال:

نحن صديقان جائعان..

فقال القرد في التو:

وهل آتي لكما بطعام؟

قال التمساح وهو يكشف عن أنيابه:

بالطبع.. نريد سمكتين كبيرتين، واحدة لي والأخرى لصديقي .. وأريد أيضًا.. ماذا؟..

قالها القرد موقنًا بأنه هالك .. فقال التمساح:

وعليك أن تبحث عن طائر لينظِّف أسنانى من بقايا الطعام..

قال القرد:

سأفعل يامولاي.. في الحال..

ذهب القرد ليحضر السمك والطائر .. وبعد فترة عاد خاوي الوفاض..

فصاح به التمساح في غضب:

لماذا لم تُحضر ماطلبته منك؟..

لقد رفضت الأسماك أن تأتي معي، وخيَّبت الطيور كذلك رجائي..

نظر التمساح إلى صديقه فرس النهر وسأله:

مارأيك ياصديقي .. هل نعطي القرد فرصة أخرى؟..

هزَّ فرس النهر رأسه وقال:

لا بأس..

اهتزَّ قلب القرد فرحًا وقد شعر أنه سينجو من الهلاك..

ونظر إلى التمساح في رجاء..

قال التمساح:

حسنًا، إنك لم تحضر سمكًا ولاطيورًا .. وسأفترض أنني قد أكلت السمك..

لكن عليك أن تنظف أسناني ممَّا علق بها من بقايا الأسماك..

قال القرد بدون تفكير:

أين هي الاسنان لأنظفها؟

فتح التمساح فمه الرهيب .. فأطل القرد بعينيه.. وأدخل رأسه في فم التمساح..

أحس التمساح وصديقه بالشبع بعد الوليمة الحافلة التي استمتعا بها .. وقال التمساح لصديقه:

لو كان القرد ذكيًّا لتردَّد في النظر إلى أسناني، ولعرف أنها كانت نظيفة لأنني لم أتناول سمكا طيلة النهار..

حكاية هل يبيض الديك؟ :

كان الطفلان أبو الفهم والأحمق يسيران ذات يوم في الغابة، وفجأة رأيـا غـولاً نائمًا في فترة القيلولة، كان الغول ضخمًا ويشخر بطريقة متواصلة ترتج لهـا الأرض وتتمايل لها الاشجار..

لم يملك الصديقان أبوالفهم والأحمق إلاَّ أنَّ يضحكا ضحكًا صاخبًا بطريقة أيقظت الغول من نومه..

كانت عيناه حمراوتين وهوينظر إلى الولدين شزرًا ويسألهما:

من أنتما، ولماذا تضحكان؟..

كفَّ الولدان عن الضحك، وتقدم الأول وقال للغول:

إنني أبوالفهم..

وقال الثاني:

وأنا الأحمق..

ضحك الغول ضحكًا قاصفا ونظر إليهما وقال:

ماذا تقصدان؟.. أتمزحان معي؟

أجاب أبو الفهم: لاياسيدي .. لكن هذا اسمي، كما أنَّ الأحمق كبر ليجـد اسـمه هكذا..

هرش الغول رأسه الكثيفة، وحك جسده بقسوة وهو يقول:

هكذا؟..إذن فسأعطيكما هديتين جميلتين..

فرح الولدان فرحًا شديدًا، فقد ناول الغول أبا الفهم ديكًا وأعطى صديقه دجاجـة وهو يقول:

هيا أيها العزيزان، اذهبا بالهديتين بشرط أن يأتي لـي كـل منكمـا ببيضـتين طازجتين في الغد، اتفقنا؟..

حضر الولدان في اليوم التالى للقاء الغول..

قدم الأحمق البيضتين للغول، ولمّا نظر الغول إلى الثاني قال أبو الفهم:

بالطبع لم أحضر شيئًا

فسأله الغول في غضب:

ولِمَ لَمْ تُحضر ما طلبت؟..

أجاب أبو الفهم:

لأن أبي الذي كان سيساعدنى على إحضار البيضتين كان سيلد، لكن الــولادة لــم تتم..

وسكت الولد فاستحثه الغول على إتمام حكايته قائلاً:

وماذا بعد؟..

فأكمل الولد يقول:

وذلك لأنَّ أبي أراد أن يشرب ماء البحر لكنه لم يقدر على ذلك..

وقال له أحد أصحابه بأن يعطيني حجرًا أقدمه لك بدل البيضتين و...

استشاط الغول وسأله:

وماذا أن صانع بالحجر؟

عليك ياسيدي أن تمضغه ثم تمضي لترمي ما تمَّ مضغه في البحــر.. وحينئــذ يستطيع أبي أن يشرب ماء البحر ثم يضع مولوده في أمان وبعــدها يعطينــي البيضتين و...

بلغ الغضب من الغول مداه فصاح بصوت عاصف:

هل أنا أبله لأصدّق كل هذه الأكاذيب؟..

هل يلد الرجال؟.. وهل يشرب شخص ماء البحر؟.. وهل أستطيع أنا أن أمضــغ الحجر؟.. أهذا معقول؟

ضحك أبو الفهم وقال في سخرية:
وهل يعقل أن يبيض الديك؟..
وبذلك نجا الولدان من بطش الغول.
حكاية الأمانة والغشاش:
عثر الأسد والثعبان والنار والماء والأمانة والغشاش على ناقة فاحتاروا ماذا يفعلون بها..
وفي النهاية قرروا أن تكون الناقة لهم شركة..
لكن الغشاش حدّث نفسه يومًا:
لماذا لاتكون الناقة من نصيبي فأشرب لبنها وحدي وحين أريد لحمًا شهيًّا أذبحها؟
ونشط في الحال إلى تنفيذ خطته الشريرة..
تأخر في المسيرة عن بقية المجموعة إلى أن سار في المؤخرة إلى جوارالثعبان.
قال الغشاش للثعبان:
ياصديقي، إنّ الأسد ينوي أن يقتلنا جميعًا ليستأثر بالناقة لنفسه..
فحّ الثعبان فحيحًا متصلاً ثم كمن للأسد في الليل وعضّه..
وبذلك تخلّص الاثنان من الأسد..
في اليوم التالي حرص الغشاش الانفراد بالنار وقال لها:
علينا ياصديقتي العزيزة أن نتخلّص من الثعبان الذي فتك بالأسد وإلاّ قتلنا جميعًا..
وسرعان ما احترق الثعبان في الليل وهو يغط في النوم..
ذهب الغشاش إلى الماء ووسوس إليه أنّ عليه أنّ يُطفئ النار التي قتلت الثعبان وإلاّ تعرّضوا للأذى..

وها هي النارقد انطفأت.. ولم يعد من أصحاب الناقة غير الماء والأمانة وصاحبنا الغشاش..

قال الغشاش للأمانة:

علينا أن نختصر الطريق يا أختي .. علينا أن نصعد التل..

صعد الثلاثة التل، الغشاش والأمانة والناقة .. وبالطبع تخلَّف الماء عن الصعود فتخلَّص منه الغشاش بهذه الحيلة، وبعد أن سار الثلاثة مسافة طويلة قال الغشاش لرفيقته الأمانة:

أريدك يا أختي أن ترتاحي من المشي الطويل، عليك أن تركبي الناقة..

قالت الأمانة دون أن تفطن إلى ما يُدبره صاحبها من حيلة:

تفضَّل أنت واركب..

تظاهر الغشاش بأنه سيركب الناقة .. فاقترب من الناقة يُربِّت على جسدها..

هنا أسرعت الناقة ووجَّهت اليه ركلة من ساقها أطاحت به..

وكان هذا جزاء الغشاش .. وأصبحت الناقة من نصيب الأمانة وحدها..

على شاطئ النيل في الحبشة:

لقد وهب الله عزَّ وجل هذه البلاد هذا النهر الخالد الذي صنع الله بفضله هذه الحضارات على شاطئ النيل في البلاد التي يجري على أرضها كما قال هيرودوت إنَّ «مصر هبة النيل»، وبهذه الهبة التي منحها الله لهذه البلاد قامت الحضارات المختلفة في مصر والسودان وأثيوبيا وأوغندا وكنيا وباقي بلاد حوض النيل.

وكانت رحلات كشوف النيل التي اهتمَّت بها جميع حضارات العالم القديم والحديث السبب في كشف العديد من المعادن مثل الذهب وغيرها من كنوز هذه البلاد من بداية البحر المتوسط وحتى بحيرة ڤيكتوريا بدولة أوغندا، وينبع هذا النيل من خلال هذه الصخور والبحيرات والجزر والذي يمر هذا النيل من خلال هذه

الجنات وكأنه رسول محمل بالبشائر إلى باقي البلدان التي يمر بها هذا النيل إلى أن يصل إلى مدينة دمياط ورشيد بمصر، وقد بذل الإنسان في كل عصر جهد كبيـــر من أجل الوصول إلى هذه الكشوف، فمنها استفادته من هذه الرحلات التـــي بـــذل خلالها مزيد من العناء والتعب، وقد اهتمت الجهات والحكومات والملوك بـــبعض هذه الكشوف والبعض لم يُقدِّر هذه الجهود التي بُذلت في الوصول اليها .. وكـــان أكثر ما نال إعجاب الرَّحالة خلال هذه الرحلات هي ضـــفاف بحيـــرة ڤيكتوريـــا وجمالها الخلاب، وكأنَّ أوراق أشجارها عناقيد العنب الجميل إذ لم يكن هناك على الأرض مثل هذه النباتات الجميلة، حتى أنَّ هذه المناظر الجميلة جعلت هذه البحيرة محل إعجاب وتقدير كل الرَّحالين ممَّا جعل هذه البحيرة أشهر البحيرات التي يمـــر من خلالها هذا النهر الخالد الذي احتضن على جانبيه العديد من الأفيال والحيوانات النادرة مثلما احتضن النباتات الجميلة والغربان التي جعلت لنفســـها العديـــد مـــن الطقوس، وكأنَّ هذه الحيوانات والطيور والنباتات قد جعل كل منها لنفسه الطقوس الخاصة ليكون هو المجر والمتحدث الخاص عن هذا النهر الخالـــد، إلاَّ أنَّ بعـــض الجهلاء قد زرع لدى الكثيرين بعض العقائد أنَّ هذاالنيل ســـكنه بعـــض النفـــوس الشريرة حتى لا يقترب الناس من بعض الأماكن التي قد وصل اليها، إلاَّ أن البعض قد طرح هذه العقائد الفاسدة خلف ظهره وأخذ يتواصل في رحلاته ممَّا زاد البشرية كلها علمًا عندما اكتشف دولة أوغندا التي كانت منعزلة حتى اكتشافها عام ١٨٦٠م، وقد استمرت رحلة هذاالعالم الانجليزي الذي اكتشفها ثلاثين عامًا، ثم ســـجَّل هـــذا العالم في مذكراته الشخصية كل تفاصيل هذه الرِّحلة وما لقيه من العقبات خلال هذه الرحلة وما شاهده من تقاليد وعادات هذه القبائل من القيم العربية الأصيلة، وبعـــد هذا الاكتشاف أصبحت أوغندا محل اهتمام الكثرين لما به من ثروات وكنوز مثـــل الأسماك والأعشاب الطبية، ثم سجَّل على أحد ألواح الرخام عبارته الشهيرة «لقـــد

وصلت إلى منابع النيل ١٨٦٢م».. كما سجّل هذا الرّحالة والعالِم أسفل هذه العبارة أربعة عشرة رجل من الذين عاونوه بجدية من بين خمسين رجل كانوا هم فريـق العمل الذي كان يعمل معه خلال هذه الرحلة، إلاً أنّ هذا العـالم «سـبيك» بعـدما وصل إلى كل هذا وجد من يُؤكِّد له أنّ منابع النيل أبعد من ذلك بكثير .. وتـذكر بعض كُتب الجغرافيا التي سجلت عن منابع النيل أنّ هذا مجرد إنكار للجهد الـذي قام به هذا العالم سبيك، وظلّ هذا الأمر بين التأكيد والشك، وإن كانـت الكشـوف الحديثة تؤكد أنه لم يكن هناك جديد بعد الذي سجله هذا العالم سبيك .. وقد قسّم هذا العالم النيل إلى مراحل جعل أشهرها نيل بحرالجبل ونيل الأبيض والنيـل الأزرق ونيل ألبرت وبحرالغزال وبحرالزراق، ومازالت هذه المسافات من النيل يحمل هذه الأسماء إلى يومنا هذا..

والنيل في أوغنده له العديد من الفروع والروافد حتى يقال في أوغنده أينما ذهبت وجدت النيل على هذه الأرض، ويعتقد البعض أنّ النيل في أوغنده مثـل الرَّجـل المسحور، ومثل ظل الرجل يرافقه أينما ذهب.

وممًا سجله هذا العالم في أوغنده عن النباتات التي تنبت حول النيل بنات البردي الضخم الذي يصل طوله الشجرة الواحده إلى مابين ستة إلى تسعة أمتـار، وهـو النبات الذي يُصنع منه الورق، بالإضافة إلى البناتات القائمة مثل نبات «بالنيلوف»، وقد صنع هذا النيل العديد من المروج والحدائق على جانب هـذا النهـر الخالـد، بالإضافة إلى الحيوانات النيلية بأوغندا كالحيتان وأفـراس النهـر وغيرهـا مـن الحيوانات والطيور التي ارتبطت بالنيل في هذه البلد..

ومن أعجب ما سجّله هذا العالم أنّ بعض قبائل الزنوج في أوغندا وأثيوبيا أنهم يقتلن النساء العجائز لعقائد فاسدة أنّ الزَّوجة والمرأة العجوز إذا تُركت حيَّة دخلت فيها الأرواح الشريرة!..

ومن العادات النسائية في هذه القبيلة أنَّ المراة السوداء تستأجر من يزنـــي بهـــا بوجبة طعام!..

كما أنَّ هذه القبائل تُحرِّم قتل الأفاعي وتكتفي بطردها مـــن الأكـــواخ المُكعبـــة والمستديرة التي يعيش فيها أهل هذه البلاد من قبائل الزنوج وفي الحبشة، وبالقرب من هذه المنطقة تكثر البراكين، ويدَّعي سكان هذه المكان أن إله اكزار هو الـــذى يتنفس هذه البراكين النارية التي تجعل الصخور من حولها إلى جمارات النـــار .. وكل هذه أقاويل حتى يتبعد الباحثون عن العاج ومناجم الذهب عن بلادهـــم حتـــى يعيشوا في أمن وأمان على أنفسهم وزوجاتهم اللاتي يقعن في غرام هؤلاء الغرباء عن بلادهم والذين لا يعودون إلاَّ بالعديد من أحمال وكنوز هذه البلاد، وإن لم يجدوا ما يبحثون عنه حملوا من نساء وفتيات أهل هذه البلاد عبيدًا إلـــى بلادهـــم هـــدايا لذويهم، ويتركون آباء هؤلاء الفتيات وأزوجهن يتحسرون علـــيهم دون أمـــل فـــي عودتهن، وكانت أكثر البعثات إلى هذا المكان من المصـــريين، خصوصـــًا منـــذ العصور الفرعونية .. وقد سجل أهل هذه البلاد طردهم لكثير من هـــذه الحمـــلات والبعثات، ولم يكن ذلك إلاَّ في المناطق التي تسكنها القبائل الكبيـــرة ذات الـــرابط القوي .. ومن الحملات التي طُردت من بلاد الحبشة ما كان عام ١٨٦٨م عنـــدما طردت آخر القبائل الحملة الإنجليزية، ممَّا جعل ملـــك بريطانيـــا يُرســـل بحملـــة عسكرية كبيرة لتأديب أهل الحبشة، كما أرسل ملك إيطاليـــا عـــام ١٨٨٥م حملـــة عسكرية كبيرة لتحتل مكان البعثة المصرية في الحبشة التي كادت أن تُسيطر على مناجم الذهب والعاج واللبان والرقيق.

واستمر هذا الصراع بين إيطاليا ومصر إلى خمس ســـنوات، أي حتـــى عـــام ١٨٩٠م، اشتعلت خلالها ثلاث معارك عسكرية كبيرة على أرض الحبشة ممَّا أدَّى إلى تخريب هذا المكان بيد ملك الحبشة في هذا الوقت والذي يُسمَّى «مثيلك الثاني»

الذي ادَّعى أنه ورث هذا المكان عن نبي الله سليمان عليه السلام ممَّا أدَّى إلى رحيل إيطاليا برجلها وبقي المصريِّين، وذلك بعد أن منيت البعثة العسكرية الإيطالية بهزيمة كبيرة على يد المصريين بمساعدة هذه القبائل الحبشية.

وتعتقد هذه القبائل المقيمة في هذا المكان أنها وحدها هي التي تحمل مفاتيح النيل والكشف عن خبايا هذه الأماكن، ولا يكون ذلك إلاَّ لمن لا يغدر بهم، لأنَّ الكثيرين منهم قد وقعوا أسرى ورقيق لخدمة هذه البعثات ممَّا كان سبب أيضًا في قتل بعض رجال هذه البعثات في بلاد الحبشة من ذوي الغرائز الفاسدة والجبروت الظالم العنيف، خصوصًا أنَّ رهبان هذه البلاد قد أباح لأهلها قتل هؤلاء المعتدين لأنَّ إحدى نساء الرُهبان كانت واحدة من النساء اللاتي خطفن بيد هؤلاء الرجال الغرباء، وقد شجع القبائل على قتل رجال بعض هذه البعثات بذلك لأنهم يتوقعون الغدر منهم فيسبقونهم إلى ذلك.

والسبب الثاني مايحمله رجال هذه البعثات من أموال وأمتعة، وما يقابل ذلك من بطالة لأهل هذه البلاد الذين يوصفون بالرغبة في الكسل وعدم العمل.

ومازال رئيس هذه البلاد الحبشية يلقب بالنجاشي مثل نجاشي رسول الله ﷺ الذي هاجر إليه صحابة رسول الله ﷺ بعد أن نصحهم الرسول بالهجرة إلى بلاده لِما سمعه من عدل هذا الرجل، وأنه لا يُظلم عنده أحد لأنه لم يكن أمام الصحابة بعد النجاشي إلاَّ الفرس والروم، وهم ذوي علاقات مع قريش ورجالهم وما بينهم من العلاقات التجارية وأنهم سوف يردُّوهم إليه.

ومازال نجاشي الحبشة يجلس على العرش ويلبس التاج في حفل كبير يحضاره كبار رجال الحبشة ويُدعَى إليه أشهر الرجال في العالم..

ويُرجع الكثيرون أنَّ أصل سكان الحبشة إلى حام بن سيدنا نوح عليه السلام الذي لعنه أبوه سيدنا نوح عليه السلام، ويُؤكد ذلك أنَّ نسله يعيش في فقر وجوع وضجر إلى يومنا

هذا رغم ما وهبهم الله في بلادهم من الكنوز والخيرات .. ومن الغريب في هــذه البلاد أنَّ فيها تميُز طائفي، فقد حرَّمت كينسة الحبشة أسر النصارى وأخذهم عبيدًا، إلاَّ أنَّ البعثات استطاعت إغراء هؤلاء الفقراء بالمال لإيقاعهم تحــت ســيطرتهم، ورغم ذلك انتشرت أسواق الرقيق والعبيد في بلاد الحبشة إلى يومنا هذا، ومازالت السُفن والبواخر تحمل الرقيق إلى البلاد الغربية للعمل خادمين فىهذه البلاد رغم ما يُطلق من شعارات كاذبة في هذه البلاد من دعوات التحرُر والتحضُر، ورغم هــذا العنف وهذه الصراعات إلاَّ أنَّ البدوي في الصحراء ما زال هو ســيد الصــحراء يحترم البدوي أخاه، يعيشون على قوانين قد توارثوها عن الآباء والأجداد، لا يعتدي فيها القوي على الضعيف إلاَّ بما له من حق هذه الشرائع الحبشية .. كما أنَّ البدوي يتضايق من الغريب عن بلادهم الذي جاء ليصطاد الأفيال والعبيد ليعود بهــا إلــى بلاده والتي كثيرًا ماتكون هذه الرحلات سببًا في موته وعدم عودته إلى بــلاده، إلاَّ أنَّ البعض من قادة هذه الحملات قد يفلح أحيانًا في الرجوع بالعبيد مسلســلين فــي أغلال إلى بلادهم ممَّا جعل الضعفاء من أهل هذه البلاد يكونون سماسرة لغيــرهم لكسب المال، وظلَّ هذا الأمر مستمرًا إلى يومنا هذا، إلاَّ أنه كان أكثر نشاطًا فــي عهد محمد علي باشا والذي كوَّن أغلب جيشه من هذه البلاد بعد فتحه لبلاد السودان والحبشة رغم تحالف الدول الأروبية هذه عام ١٨٤١م ممَّا جعل حملات المهــدي تظهر بعد ذلك على أرض السودان ممَّا جعل شوارع الســودان تمتلــئ بالــدماء والرماد، إلاَّ أنَّ حملات المهدي المنتظر لم تخرج خارج السودان رغم مــا كــان يدَّعيه بأنه المُخلص والمنقذ لهذا العالم .. وقد تأثرت الحبشة بهذه الثــورة حيــث أصبحت تعيش في عزلة عدَّة سنوات ممَّا جعلها تعيش في مزيد من التخلف والجهل من جديد، لأنَّ دخول الحملات إلى هذه البلد نقل إليها العديد من حضارات الشعوب وعاداتها ممَّا جعل منها بلدًا يُذكر بين البلدان.

الموارد المائية في مصر:

إنَّ الجهود المبذولة لحل مشاكل المياه في جميع بلاد العالم ممَّا جعل مشاكل المياه تكون سبب في العديد من الصراعات السياسيَّة والتحالفات مع دول أخرى، لأنَّ نقص الموارد المائية سبَّب مجاعة مائية في العديد من بلدان العالم ومنها مصر رغم وجود أعظم أنهار العالم بها، وذلك لأسباب عديدة منها انقطاع توصيل النيل ممَّا دفع مصر إلى توصيل النيل المنقطع عند قناة جوجلي بالسودان لحل مشاكل المياه في مصر، لأن مصر الدولة الوحيدة التي تقوم الزراعة فيها على الرَّي بالغمر بنسبة مائة في المائة حتى تناقص نصيب الفرد من المياه من عام ١٩٤٧م من ٥٠٨٤ مترمكعب إلى ٣٤٨٤متر مكعب عام ١٩٩٢م، بل نقص نصيب الفرد إلى ٩٨١ متر مكعب عام ٢٠٠٥م، وهذا من نصيب مصر بعد نصيب البلاد الثمانية المعروفة ببلاد حوض النيل وهي «مصر – السودان – أثيوبيا – الحبشة – كينيا – أوغنده ..الخ»، ومصر هي دولة المصب لوقوعها عند البحر المتوسط، ولذلك ما يقوم من صراعات بين الشمال والجنوب في السودان هي صراعات سياسية بين الطوائف الأخرى غيرالإسلامية من دول الغرب لدفع بمصر والدول العربية إلى خلف الأمم، ولذلك تُقدِّر وزارة الرَّي والأشغال العامة والموارد المائية بأنَّ نصيب مصر من الماء من نهر النيل حوالي ٥٥،٥ مليار متر مكعب من الماء، ولذلك سعت مصر إلى تدبير موارد مائية أخرى بحوالي ١٣،٥ مليار متر مكعب، وهي من المياه الجوفية والأمطار، وتحلية مياه البحر وغيرها من أساليب تدبير الموارد المائية الأخرى وإعادة استخدام المياه الصرف الزراعي.

وإذا كانت نسبة المياه لمصر ٦٣،٣ مليار متر مكعب من الماء في العام فإنَّ ٤٩,٧ مليار متر مكعب يستخدم في الزراعة ٣,١ مليار متر مكعب في الاستخدامات المنزلية ٤,٦ مليار متر مكعب في الصناعة ٢,٨ مليار متر مكعب

لضمان الملاحة والكهرباء خلال السدّة الشتوية ٢,٠ مليار متر مكعب فاقد في شبكة الري، ولذلك تسعى مصر إلى تحويل العجز في الموارد المائية إلى فائض عن طريق تخزين المياه وتحويل مياه الصرف إلى مياه صالحة للزراعة وتحويل الماء المالح إلى ماء عذب.

ولذلك قامت الدولة بوضع سياسة عامة للتغلب على موجات الجفاف التي من الممكن أن تتعرّض لها مصر، وهذه السياسة تتلخّص في عدّة بنود هي:

١- عدم إطلاق المياه التي تستخدم في توليد الكهرباء.

٢- إنشاء قناطر إسنا لتوفير الماء المتسرّب والفاقد.

٣- مد الفترة التي تكون فيها السدّة الشتوية.

٤- العمل على تقليل الماء الفاقد من فرع رشيد.

٥- إدخال محاصيل جديد وأنواع قصيرة العمر وأنواع تتحمّل العطش ولا تحتاج إلى كميات ماء كبير مثل «الأرز ٧٧»، وذلك لأن ٨٠% من نسبة مصر من الماء تستخدم في الزراعة، وأنّ هدف تنمية الثروة المائية هو زيادة الرقعة الزراعية لسد الفجوة بين الواردات والصادرات، وقد بدا العمل بهذه السياسة عام ١٩٧٨م، وبهذه السياسة سوف تزيد حصة مصر من المياه إلى ٢ مليار متر مكعب خصوصًا بعد قناة جوجلي التي ستزيد هذه الكمية إلى ٨ مليار متر مكعب من الماء، ولكن هذه السياسة لمياه مصر تحتاج إلى مزيد من الجهد خصوصًا أنّ دول العرب تدفع ببعض الدول التي يمر بها النيل مثل كينيا وأوغندا وأثيوبيا أن تُطالب برفع نسبة المياه لها من حصة مياه النيل الخاصة بها، رغم أنّ كل دولة من هذه الدول الفاقد منها من مياه النيل أكثر ممّا تستخدمه هذه البلاد بسبب تآكل جسور النيل وتدهور المياه في الغابات بهذه البلاد، خصوصًا أنّ هذه الدول لا تُعاني من مشاكل المياه بالقدر الذي تعانيه مصر من هذه المشكله التي تُعد أخطر مشاكل الإنسان على

الأرض، ولذا كان على مصر أن تقوم بوضع برنامج لتوزيع استخدام المياه ومن أهم أهداف هذه الخطط التطبيق والالتزام بتطبيق هذه البرنامج وذلك لضمان التقليل من الصراعات التي تفتعلها هذه الدول العربية من مصر والسودان، بل استطاعت هذه الدول إلى خلق العديد من المشاكل بين مصر والسودان بخصوص هذا الأمر، إلاَّ أنَّ القيادات السياسية في البلدين أعقل من الانقياد إلى هذا الجب، وإن كان لها بعض الآثار السلبية، إلاَّ أنَّ هذه الدول لم تحصد ثمار هذه الحيل كما كانت تتصوَّر أن تحصد من وراء هذه الألاعيب المريضة .. ممَّا جعل كل من مصر والسودان تُقيمان اتفاقية عام ١٩٥٩م بهذا الشأن والتي أُطلق عليها «اتفاقية التفاهم لاستغلال مياه النيل بالكامل في البلدين»، ومن بنود هذه الاتفاقية توصيل طرفي النيل بقناة جونجلي والتي تم العمل بها ثم توقف كما سبق أن ذكرنا.

ومن المؤكد أنَّ إتمام هذه المشروع بهذه القناة سوف يرفع نصيب مصر من الماء من ٥٥,٥ مليمتر مكعب إلى ٨٤ مليار متر مكعب من ماء النيل فقط بالإضافة إلى العديد من الموارد الأخرى، وعند رفع هذه النسبة سوف يتم زيادة الرقعة الزراعية وزرع مفيض توشكى وسهل الشمال في سيناء ومطروح دون هذا العناء، لأن الساحل الشمال في كل من المحافظتين من السهل زراعته لتوفر عناصر الزراعة بها ومنها أن تربة هذا الساحل تربة رملية كل ما يوجد فيها الصخر والحصب، وبناءً على هذه الاتفاقية تمَّ تشكيل لجنة من مهندسي الرَّي في مصر والسودان، وهذه للجنة تقوم بمتابعة أحوال النيل في مصر والسودان وذلك من أجل التعاون المتبادل بين البلدين، إلاَّ أنَّ صراعات الشمال والجنوب في السودان كانت سبب في عدم أداء هذه اللجنة أهدافها كما يجب أن يكون، لأنَّ نقص المياه في مصر من الممكن أن يدفع بمصر إلى الدخول في الصراعات السياسية – وربما الحروب العسكرية – بين مصر وبعض الدول الأفريقية التي تكاد تسيطر

على منابع النيل ممَّا جعل إسرائيل تستفيد من هذه الصــراعات، وتقــوم بتحويــل أثيوبيا بالخبرة من المهندسين والدَّعم المالي لإقامة سد كبير على النيل الأزرق على بحيرة «تانا» عام ١٩٩١م، كما اقترح المهندس فرانس عام ١٨٩٣م إقامة عدد من السدود على بحيرات ڤيكتوريا وبحيرة ألبرت، وكانت هذه الاقتراعات الهدف منها هو حرمان مصر من أي قطرة مياه من مياه النيل، وكان ذلك أثناء استعداد فرنسا لغزو مصر عام ١٧٩٨م، ولكن هذه الحملة قد فشلت، وما زالت كل هــذه الــدول الغربية تبذل العديد من الجهود من أجل إضعاف مصر، إلاَّ أنَّ هذه الدول قد أقــام بعضها هذه الخطط، إلاَّ أنَّ البعض منها مازال مجــرَّد اقتراحــات تُهــدِّد مصــر والسودان، ولكن الحل هو جهود سياسية أكثر ممَّا هي تــدابير ماليَّــة لاســتكمال مشروع جونجلي العملاق بالنسبة لما سيعود به هذا المشروع على مصــر، إلاَّ أنَّ بعض دول النــيــل مثل أثيوبيا وكينيا وأوغندا تُطالب بتقليل نسبة مصر الحالية من مياه النيل رغم أنَّ هذه الدول ليست في حاجة إلى مقابل له، ولكنها ضغوط سياسية عليها مقابل إعانات من دول الغرب..

مصر والصراعات السياسية:

لقد كانت مشكلة النيل سبب أنَّ مصر قد تعرَّضت إلى العديــد مــن المشــاكل السياسية والصراعات الإقليميَّة من أجل محاربة مصر بالماء، إلاَّ أنَّ تقرير الســيد عصام راضي وزير الزرعة السابق عام ١٩٩٠م أمام مجلس الشعب قد أكد أنَّ هذه الصراعات والمشكلات على الموارد المائية لم تنفذ منها شيء حتى الآن من جانب هذه الدول التي تنادي بتقليل نسبة مصر من ماء النيل.

إلاَّ أنَّ أسرائيل مازالت تقوم بتطبيق أحد مشروعاتها في أوغندا للسيطرة علــى مصاب النيل هناك، وذلك بتأجير مساحة زراعية في أوغندا، وقد قامت إســرائيل بتوفير أكثر من خمسين مليار دولار لإقامة هذا المشروع والــذي مــازال تحــت

الإنشاء إلى يومنا هذا، ومازالت إسرائيل تخلق العديد من المشكلات لمصر وذلك مقابل الضغط على مصر بتوصيل ترعة السلام التي تصل إلى سيناء بمصر إلى الأراضي الإسرائيليَّة لأنَّ أغلب مشاكل إسرائيل مع العرب هي مشاكل حول المياه قبل أن تكون سياسية أو دينيَّة.

لذلك أدركت مصر خطورة هذا الأمر ممَّا جعلها تُقيم علاقات قوية مع دول حوض النيل و سبب ذلك الترابط التاريخ بين مصر وهذه الدول لبلاد حوض النيل - وخصوصًا أثيوبيا - وليست هذه العلاقات هي السبيل الوحيد لحل هذه المشكلات، وبرغم روح الأخاء والمودَّة بين مصر وبعض هذه الدول إلاَّ أنَّ مصر لم تسلم إلى حالة السلم المائية مع هذه الدول، بل ترصد القيادة في مصر باختلاف مستوياتها على رصيد كل صغير وكبير للعمل على حلٍّ هذه المشكلات الصغيرة قبل أن تأخذ أكبر من حجمها وتصل إلى طرق مسدودة كما تسعى دول العرب إلى ذلك..

وليس هذا الصراع وليد اليوم، بل ظهر هذا الصراع أكثر وأكثر منذ بداية إسرائيل بهدف توطين اليهود منذ عام ١٩٥٥م، وكان ما كان بين العرب وإسرائيل من حروب عام ١٩٤٨م، ١٩٥٦م، ١٩٦٧م، ١٩٧٣م .. كان سببها المياه، بل أنَّ اسرائيل قد أعلنت على لسان وزير خارجيتها أنَّ المشاكل والصراعات الموجودة بين بلاده والعرب سببها الماء، ومن هذه المشكلات مياه النيل وبحيرة طبرية في القدس ونهر اللطاني في لبنان وغيرها من المجاري المائية القريبة من إسرائيل.

البدائل لحل مشاكل المياه:

كان لابدَّ من طرح العديد من البدائل لحل مشاكل المياه في مصر، ومن هذه البدائل:

١- إعادة في استخدام مياه الصرف الزراعي.

٢- التوسع في استخدام المياه الجوفية.

٣- الاستفادة من مياه السدّة الشتوية.

٤- الاستفادة من مياه الأمطار.

٥- تحلية ماء البحر واستخدام الأساليب العلمية وتشجيع رعوس الأموال في هذا الجانب.

٦- عقد مزيد من الاتفاقيات مع بلاد حوض النيل بهدف المحافظة على نصيب مصر من مياه النيل.

٧- عقد المؤتمرات والندوات للوعي بكيفة استخدام مياه النيل وترشيد الاستهلاك.

٨- استخدام طرق الرّي الحديثة لتوفير الفاقد من المياه.

٩- التدخل لحل المشاكل والصراعات داخل السودان حتى لاينعكس ذلك على مصر.

١٠- مساندة دول حوض النيل لإقامة العديد من المشروعات التي تهدف إلى توفير كميات من الماء المفقود من مياه النيل في المستنقعات لمواجهة التناقص المحتمل لنهر النيل والممكن حدوثه في أي وقت.

١١- عدم قبول الاقتراح الاسرائيلي الذي يطالب بدفع إسرائيل مقدار من المال مقابل وصول المياه الىالأراضي الإسرائيلية.

١٢- تعديل الدورة الزراعية والتعديل لبعض الأصناف الزراعية لتوفير الماء.

١٣- البعض يطالب بعرض رسوم ري على كل فدان وتركيب ما يشبه العدادات على فتحات الترع والقنوات، وإن كان هذا الاقتراح لم ينل التنفيذ لأسباب كثيرة، وذلك بهدف إجبار المزرارعين على ترشيد الاستهلاك.

١٤- إحلال وتجديد شبكات الرّي والصرف بشبكات جديدة من الممكن من خلالها المحافظة على الموارد المائية، وكذلك الماء المنصرف لاستعادة الاستفادة به.

١٥- استخدام المنوبات في الرّي لِما لهذا النظام من مميزات تقليل الفاقد ولِما لـــه من العديد من المميزات منها تنظيم الرّي بالتبادل بين الأحواض

١٦- تسجيل البيانات الدقيقة حول منسوب المياه حتى يمكن اتخاذات قرارات واقية هادفه ليس لها عائد سلبي.

١٧- تغطية بعض المجاري المائية الممكن تغطيتها لحل مشاكل التصحُّر.

الهدف من توشكى:

حول معنى الاسم: لقد أصبح هذا الاسم اكثر انتشارًا بعد أن أُعلن عـــن هـــذا المشروع منذ بداية إنشاء السّد العالي، وهذا الاسم مأخوذ من اسم إحدى الفتيات الروسيات بالاتحاد السوفيتي، وقد أُطلق هذا الأســـم علـــى إحـــدى المنـــاطق الموجودة غرب النيل بأسوان، وتقع هذه المنطقة شمال وادي حلفا، وقد وقـــع على أرض توشكى معركة كبيرة عام ١٨٨٩م بين السردار جرنفل باشا وأتباع محمد المهدي في السودان بقيادة عبدالرحمن النجوفي الذي هزم وقتل من رجاله ١٥٠٠جندي عندما أرادوا غزو مصر، وقد اهتدى رجال هذا المكان واستشهد بعضهم ممّا أدّى إلى إقامة ضريح كبير لهم في هذا المكان مازال معروف إلى يومنا هذا، وقد أُقيم الضريح بأمر من جلالة الخديوي توفيق خـــديوي مصـــر وقتئذ.

ومن المقرر أن يبدأ هذا العمل على ثلاث مراحل: الأولى تبـــدأ عـــام ٢٠١٠، والثانية عام ٢٠٢٥م، والثالثة عام ٢٠٥٠م.

أهداف مشروع توشكى:

١- إقامة مشروع ضخم يعمل على تنمية شمال وجنوب منطقة أسوان في جميـــع المجالات وفي مختلف القطاعات بتكاليف تُقدَّر ٢٥٨مليار، وتوفير٣ مليون فرصة عمل.

٢- إعادة توزيع الاستثمارات على أن تكون متساوية حسب التوزيـــع الجغرافـــي وليس حسب التوزيع البشري الذي أصبح يُسيطر على التوزيع في كافة المجالات.
٣- فتح آفاق جديدة في مجال الزراعة والصناعة والســياحة ومجـــالات الحيـــاة الأخرى.
٤- حل المشاكل الأمنية والازدحام في الوادي والدلتا.
٥- إقامة أجهزة جديدة معاونة للقطاع العام.
٦- الاستفادة من هذا المكان بما يحتويه من خامات ومعادن وغيرها مـــن مـــواد صناعية.
٧- تطوير أسلوب التنمية دخل مصر.
٨- إعادة توزيع السكان بأسلوب متوازن.
٩- الاستفادة من خصوبة هذه الأرض في إنتاج بعض المحاصيل الرئيســية مثـــل القمح والشعير بما يُقدَّر بحوالي ١٨,٣% من إنتاج مصر العام.
١٠- التنمية السياحية لجنوب أسوان، حيث أن هذا المكان به أكثر من ١٥٠موقـــع أثري كبير.
١١- إقامة العديد من مزارع الدواجن وغيرها من مـــزارع اللحـــوم والأســـماك والزهور ونباتات الزينة وبداية دراسة مثل هذه المشاريع.
١٢- الاستفادة بحوالي ٦٧% من صحراء مصر في الزراعة.

لقد كانت فكرة هذا المشروع منذ بداية إقامة السَّد العالي، أي في عهد حكومـــة ثورة ١٩٥٢م .. وقد بدأت أول دراسة فعلية لهذا المشروع عام ١٩٦٣م، ثم جرى تعديل على هذه الدراسة عام ١٩٧٠م، وتم تعديل وإضافة بعض المقترحات عليهـــا عام ١٩٨٢م، وبدأ التفكير في المشروع عام ١٩٨٦م بعـــد التأكـــد مـــن أنَّ هـــذا المشروع قد استوفى كافة دراسات الجدوى لهذا المشـــروع الـــذي يُعـــد أضـــخم

المشروعات في العصر الحديث على كافة المستويات، وبالفعل قد بدأ تنفيذ جزء من هذا المشروع عام ١٩٧٠م ولكن بجهود فردية لبعض المستثمرين، وبالفعل تم زراعة ٤٦٠ ألف فدان، ولكن ليست على مياه هذا المفيض، ولكن بالمياه الجوفية لحساب القطاع الخاص، ويعود نجاح القطاع الخاص في هذا المشروع إلى معاونة الدولة أنّ هذا المشروع من الضروري تنفيذه، خصوصًا وجود منخفض عند أرض توشكى يساعد على زراعة أضعاف المساحة الزراعيَّة الحالية بمصر..

لذلك بدأت مصر بتنفيذ مشروع قناة توشكى لتصريف الماء الزائد قبل وصوله إلى السَّد العالي بأسوان بهدف استزراع مزيد من الأرض الزراعية بهذا المكان، وقد تم البدء في تنفيذ مشروع قناة توشكى بتصريف يُقدَّر بحوالي ٢٥٠ مليون متر مكعب في اليوم الواحد، والذي يصل ارتفاعها عن سطح البحر إلى ١٨٢متر فوق سطح البحر، ويصل طول هذه القناة إلى ٢٢ كيلومتر، وبعرض يصل من ٣٠٠:٥٠٠ متر، متوسط قاع هذه ١٥ متر، وتصل هذه القناة عن عرب النيل المياه إلى حوالي ٢٥٠ كيلومتر، وقد تم دراسة المكان بكافة الأساليب العلمية المختلفة بما يخدم الموقع السياحي والجغرافي والجيولوجي، إذ يُعد هذا المشروع أضخم مشروعات القرن العشرين وماقبله على الإطلاق.

وهذا المشروع سوف يقوم بتعمير الوادي الجديد بعد امتداد هذه القناة إلى ترعة الوادي الجديد، وتُقدَّر مسافات الحفر في هذا المشروع بالنحو التالي:

١- التربة العادية ٣٨٠م٣.

٢- الصُخور ٤٢٢٠م٣.

٣- الرَّمل ٢١٣٠٠م٣.

٤- المكسية بالحجر ٣١٠٠٠م٣.

وتصل سعة هذا الخزان إلى ١٢٠مليار متر مكعب من الماء.

فوائد هذا المشروع:

١- حماية جسور النيل من النحت المائي والتآكل، وبذلك يخف الضغط على جسور النيل بتوزيع الماء الزائد في النيل إلى هذه القناة.

٢- زيادة سعة خزان السّد العالي وتفادي أخطار الفيضان مثلما حدث عام ١٨٧٨م وعام ١٨٧٩م والفيضانات العالية والمرتفعة.

٣- القضاء على نسبة الأحماض المرتفعة بالوادي التي ظهرت بسبب الظروف المناخية.

٤- رفع كفاءة محطة السّد العالي الكهربائية.

٥- رفع مستوى الخزّان الجوفي في باطن الأرض.

٦- زراعة جانب القناة بما يُقدّر بحوالي ٢٠٠٠ فدان، وزيادة المساحة الزراعية لمصر من٤% : ٥٨% من جملة مساحة مصر والاستفادة من مشروع دلتا الوادي الجديد.

٧- رفع معدّلات التنمية الأسياسية لعبور العديد من المشاكل السكانية والازدحام في الدلتا والوادي بزيادة مساحة الأرض الزراعية بما يُقدّر بحوالي مليون فدان زراعى جديد، لأن هذا المشروع هو أمل الأجيال القادمة للخروج من عنق الزجاجة بأسلوب يكون ذا جدوى على أبناء الشعب.

٨- إقامة دارسة تفصيلة لأنواع التربة في هذا الوادي للتعرف على نوع المحاصيل التي يمكن أن تُزرع في كل مكان حسب خصوصية هذا المكان.

٩- كما تم حفر ٥٦ بئر شرق العوينات.

المشروع الجديد وحل مشاكل الاسكان:

لقد كان من أهم وأكبر أهداف هذا المشروع هو حل المشاكل الكبرى ومنها الازدحام السكاني بهدف تغير التوزيع الجغرافي البشري لأبناء مصر، وذلك بإنشاء

العديد من المُدن تكون كاملة الخدمات والمرافق والتي تجعل الشباب يعـيش علـى أرض شرق العونيات وما حولها حياة سعيدة، حيث إنّ من المفترض إقامة مساكن لما يقرب من خمس ملايين بهذا المكان غرب وشرق العوينـات وواحـة بـاريس ودرب الأربعين وجنوب الواحة وكلاثة وغيرها من امتدادات هذه الرقعة من أرض مصر..

كما يقوم المشروع بالاستفادة من كنوز هذه المناطق التي تدخل في العديد مـن المشروعات والصناعات والتي توفر العديد من فرص العمل عـن طريـق إقامـة مصنع ضخم للأسمدة حيث تتوافر بهذا المكان عناصر تصـنيع هـذه الأسـمدة، وبالفعل بدأ العمل في هذا المشروع شمال النيل.

توشكى في الميزان:

لقد أصبح هذا المشروع محل اهتمام كبير بما له من عائد على شعب مصر وما أُعدّ له من تكاليف سوف تؤثر على الخدمات والمرافق في الدلتا والوادي، حيث إنّ هذا المشروع الضخم يُعد أكبر المشروعات المتكاملة زراعيًّا وصـناعيًّا وسـكانيًّا وسياحيًّا، وقد سبق وأن عرضنا أهداف ونتائج هذا المشروع وسوف نعـرض الآن لبعض سلبيات هذا المشروع:

١- الأرض المُقام عليها هذا المشروع ليست أفضل الأراضي الزراعية في مصر وذلك لجودة الساحل الشمالي في سيناء ومحافظة مطروح.

٢- إنّ هذا المشروع يتكلّف أربع أضعاف الميزانية العامة لمصر.

٣- المناخ العام لهذا المكان غير مناسب لارتفاع نسبة درجة الحرارة ممّا يُـؤدّي إلى ارتفاع نسبة التبخر وارتفاع الملوحة في هذه الأرض.

٤- إنَّ مُخلَّفات هذه المشروع من الصَّرف الزراعي والصحي لا يوجد استخدام لها، وأين يمكن التخلص من هذا الصرف؟.. والعائد من مشروعات الزراعية والصناعة بهذا المجتمع العمراني الجديد.

٥- المبالغة في التكاليف وفي العائد والفترات الأمنية لتنفيذ هذا المشروع.

٦- صعوبة التوطين بهذا المكان بالحجم المعلن عنه خلال هذه الدراسات، وذلك سبب سوء الأحوال المناخية من حرارة ورياح.

٧- عدم صدور دراسة تفصيلية لهذا المشروع من خلال المؤسسات الإعلامية المختلفة.

٨- ارتفاع نسبة الصخور بالقشرة الأرضية المراد زراعتها في هذا المكان.

٩- ظهور العديد من المصاعب التي لم تكن بالحسبان ممَّا كان لها الأثر على وقف الكثيرين عن أعمالهم لتأخر إنجاز هذه المشروعات حسب ما حُدِّد لها من خطط زمانية بسبب ظهور العديد من المصاعب والسبب عدم وجود قاعدة بيانية بصورة كافية عن هذا المشروع، حيث إنَّ الفدان الواحد تصل تكاليف استصلاحه إلى ٣٢ ألف فدان، بينما يوجد بعض الأماكن التي لا تتعدَّى كافة التكاليف لزراعتها خمسة آلاف فقط.

١٠- الفدان الواحد في توشكى يحتاج إلى ١٨ ألف مترمكعب من الماء في العام الواحد، بينما هناك أماكن أخرى تحتاج إلى خمس آلاف متر مكعب من الماء خلال العام الزراعي الواحد، وهذا هو أخطر ما في الموضوع، حيث إنَّ الفدان الواحد يحتاج إلى نصيب أربعة أفدنة أخرى من سهل الساحل الشمالي في محافظة مطروح.

١٢- المشروع يحتاج إلى ٧٠٠ ألف عامل زراعي.

١٣- عدم التصنيف الجيد والفعلي في تحديد عناصر التربة.

أهــم المراجــع

أولاً: القرآن الكريم	الكتاب المقدَّس
ثانيًا: ــ فقة السنة	السيد سابق
المعجم المفهرس	محمد فؤاد عبد الباقي
النيل حياة نهر	إميل لودفيج
مصر في القرآن والسُنة	عبد العزيز الشناوي
مروج الذهب	المسعودي
فتوح مصر وأخبارها	ابن عبد الحكم
صحيح الإمام مسلم	للإمام مسلم
في أرض النيل	د. عبد العزيز كامل
تاريخ الرسل والملوك	ابن جرير الطبري
فتوح البلدان	أبو الحسن البلاذري
معجم البلدان	ياقوت الحموي
النيل في المكتبة العربية	محمد حمدي المناوي
جغرافيا مصر	د. سيد الدسوقي
جغرافيا الوطن العربي	أ. د / محمد المسعودي
نهر النيل	د. رشيدي سعيد
شخصية مصر	د. جمال حمدان
النيل الخالد	محمد محمود الصياد
النيل يمر ببلادي	بلانكاتييرا فيبرا
نهر النيل	محمد عوض محمد
النيــل	محمد صبيح

الفهـــرس

تابــع الفهــرس